مجلة جامعة البعث

سلسلة الآداب و العلوم الانسانية

مجلة علمية محكمة دورية

المجلد 44 . العدد 5

1443 هـ - 2022 م

أ. د. ناصر سعد الدين	رئيس هيئة التحرير
أ. د. هايل الطالب	رئيس التحرير

مديرة مكتب مجلة جامعة البعث

بشرى مصطفى

د. محمد هلال	عضو هيئة التحرير
د. فهد شريباتي	عضو هيئة التحرير
د. معن سلامة	عضو هيئة التحرير
د. جمال العلي	عضو هيئة التحرير
د. عباد كاسوحة	عضو هيئة التحرير
د. محمود عامر	عضو هيئة التحرير
د. أحمد الحسن	عضو هيئة التحرير
د. سونيا عطية	عضو هيئة التحرير
د. ريم ديب	عضو هيئة التحرير
د. حسن مشرقي	عضو هيئة التحرير
د. هيثم حسن	عضو هيئة التحرير
د. نزار عيشي	عضو هيئة التحرير

الأستاذ الدكتور عبد الباسط الخطيب

رئيس جامعة البعث

المدير المسؤول عن المجلة

تهدف المجلة إلى نشر البحوث العلمية الأصيلة، ويمكن للراغبين في طلبها الاتصال بالعنوان التالي:

رئيس تحرير مجلة جامعة البعث

سورية . حمص . جامعة البعث . الإدارة المركزية . ص . ب (77)

. هاتف / فاكس : 2138071 31 963 ++

. موقع الإنترنت : www.albaath-univ.edu.sy

. البريد الالكتروني : magazine@ albaath-univ.edu.sy

ISSN: 1022-467X

قيمة العدد الواحد : 100 ل.س داخل القطر العربي السوري

25 دولاراً أمريكياً خارج القطر العربي السوري

قيمة الاشتراك السنوي : 1000 ل.س للعموم

500 ل.س لأعضاء الهيئة التدريسية والطلاب

250 دولاراً أمريكياً خارج القطر العربي السوري

توجه الطلبات الخاصة بالاشتراك في المجلة إلى العنوان المبين أعلاه.

يرسل المبلغ المطلوب من خارج القطر بالدولارات الأمريكية بموجب شيكات باسم جامعة البعث.

تضاف نسبة 50% إذا كان الاشتراك أكثر من نسخة.

شروط النشر في مجلة جامعة البعث

الأوراق المطلوبة:

- 2 نسخة ورقية من البحث بدون اسم الباحث / الكلية / الجامعة) + CD / word من البحث منسق حسب شروط المجلة.
- طابع بحث علمي + طابع نقابة معلمين.
- **اذا كان الباحث طالب دراسات عليا:**

يجب إرفاق قرار تسجيل الدكتوراه / ماجستير + كتاب من الدكتور المشرف بموافقته على النشر في المجلة.

- **اذا كان الباحث عضو هيئة تدريسية:**

يجب إرفاق قرار المجلس المختص بإنجاز البحث أو قرار قسم بالموافقة على اعتماده حسب الحال.

- **اذا كان الباحث عضو هيئة تدريسية من خارج جامعة البعث :**

يجب إحضار كتاب من عمادة كليته تثبت أنه عضو بالهيئة التدريسية و على رأس عمله حتى تاريخه.

- **اذا كان الباحث عضواً في الهيئة الفنية :**

يجب إرفاق كتاب يحدد فيه مكان و زمان إجراء البحث , وما يثبت صفته وأنه على رأس عمله.

- **يتم ترتيب البحث على النحو الآتي بالنسبة لكليات (العلوم الطبية والهندسية والأساسية والتطبيقية):**

عنوان البحث . . ملخص عربي و إنكليزي (كلمات مفتاحية في نهاية الملخصين).

1- مقدمة

2- هدف البحث

3- مواد وطرق البحث

4- النتائج ومناقشتها .

5- الاستنتاجات والتوصيات .

6- المراجع.

- **يتم ترتيب البحث على النحو الآتي بالنسبة لكليات (الآداب – الاقتصاد– التربية – الحقوق – السياحة – التربية الموسيقية وجميع العلوم الإنسانية):**
- عنوان البحث . . ملخص عربي و إنكليزي (كلمات مفتاحية في نهاية الملخصين).

1. مقدمة.
2. مشكلة البحث وأهميته والجديد فيه.
3. أهداف البحث و أسئلته.
4. فرضيات البحث و حدوده.
5. مصطلحات البحث و تعريفاته الإجرائية.
6. الإطار النظري و الدراسات السابقة.
7. منهج البحث و إجراءاته.
8. عرض البحث و المناقشة والتحليل
9. نتائج البحث.
10. مقترحات البحث إن وجدت.
11. قائمة المصادر والمراجع.

7- يجب اعتماد الإعدادات الآتية أثناء طباعة البحث على الكمبيوتر:

أ- قياس الورق 17.5×25 B5.

ب- هوامش الصفحة: أعلى 2.54- أسفل 2.54 – يمين 2.5- يسار 2.5 سم

ت- رأس الصفحة 1.6 / تذييل الصفحة 1.8

ث- نوع الخط وقياسه: العنوان . Monotype Koufi قياس 20

. كتابة النص Simplified Arabic قياس 13 عادي . العناوين الفرعية Simplified Arabic قياس 13 عريض.

ج . يجب مراعاة أن يكون قياس الصور والجداول المدرجة في البحث لا يتعدى 12سم.

8- في حال عدم إجراء البحث وفقاً لما ورد أعلاه من إشارات فإن البحث سيهمل ولا يرد البحث إلى صاحبه.

9- تقديم أي بحث للنشر في المجلة يدل ضمناً على عدم نشره في أي مكان آخر, وفي حال قبول البحث للنشر في مجلة جامعة البعث يجب عدم نشره في أي مجلة أخرى.

10- الناشر غير مسؤول عن محتوى ما ينشر من مادة الموضوعات التي تنشر في المجلة

11- تكتب المراجع ضمن النص على الشكل التالي: [1] ثم رقم الصفحة ويفضل استخدام التهميش الإلكتروني المعمول به في نظام وورد WORD حيث يشير الرقم إلى رقم المرجع الوارد في قائمة المراجع.

تكتب جميع المراجع باللغة الانكليزية (الأحرف الرومانية) وفق التالي:

آ . إذا كان المرجع أجنبياً:

الكنية بالأحرف الكبيرة . الحرف الأول من الاسم تتبعه فاصلة . سنة النشر . وتتبعها معترضة (–) عنوان الكتاب ويوضع تحته خط وتتبعه نقطة . دار النشر وتتبعها فاصلة . الطبعة (ثانية . ثالثة) . بلد النشر وتتبعها فاصلة . عدد صفحات الكتاب وتتبعها نقطة.

وفيما يلي مثال على ذلك:

–MAVRODEANUS, R1986– **Flame Spectroscopy**. Willy, New York, 373p.

ب . إذا كان المرجع بحثاً منشوراً في مجلة باللغة الأجنبية:

. بعد الكنية والاسم وسنة النشر يضاف عنوان البحث وتتبعه فاصلة, اسم المجلد ويوضع تحته خط وتتبعه فاصلة . المجلد والعدد (كتابة مختزلة) وبعدها فاصلة . أرقام الصفحات الخاصة بالبحث ضمن المجلة.

مثال على ذلك:

BUSSE,E 1980 Organic Brain Diseases **Clinical Psychiatry News** , Vol. 4. 20 – 60

ج. إذا كان المرجع أو البحث منشوراً باللغة العربية فيجب تحويله إلى اللغة الإنكليزية و التقيد

بالبنود (أ و ب) ويكتب في نهاية المراجع العربية: (المراجع In Arabic)

رسوم النشر في مجلة جامعة البعث

1. دفع رسم نشر (20000) ل.س عشرون ألف ليرة سورية عن كل بحث لكل باحث يريد نشره في مجلة جامعة البعث.
2. دفع رسم نشر (50000) ل.س خمسون الف ليرة سورية عن كل بحث للباحثين من الجامعة الخاصة والافتراضية .
3. دفع رسم نشر (200) مئتا دولار أمريكي فقط للباحثين من خارج القطر العربي السوري .
4. دفع مبلغ (3000) ل.س ثلاثة آلاف ليرة سورية رسم موافقة على النشر من كافة الباحثين.

المحتوى

اسم البحث	اسم الباحث	الصفحة
أثر قانون المخالفة الصّوتيّة في علاقات الإبدال	الدكتور: صفوان سلّوم	32-11
حجاجية الصورة في غرضي الفخر والهجاء في الشعر الجاهلي	د. منار العيسى لبانه غنوم	60-33
أثر التَّداعي في بناء الحُقول الدَّلاليَّة في معجم "فقه اللُّغة وأسرار العربية" للثعالبي(*429*هـ)	الدكتورة وصال الحميد	80-61

أثر قانون المخالفة الصّوتيّة في علاقات الإبدال

الدكتور: صفوان سلّوم[1]

ملخص:

الإبدال هو استجابة صوتٍ لتأثير صوتٍ آخر يلحقه أو يسبقه استجابةً يسوّغها قرب الصّوتين في الكلمة أو الكلام وقربهما في المخرج أو الصّفات.

وقد وجد الباحثون أنّ الغرض منه التّخفيف من ثقل بعض الحروف المتجاورة التي تسبّب عدم الانسجام الصّوتيّ في الكلمة، وتجهد أعضاء النّطق، فيُلجأ إليه لتجاوز صعوباتٍ في اللّفظ، قد يولّدها تجاورٌ صوتيٌّ معيّنٌ.

وتعدّ ظاهرة الإبدال خصيصةً قابلةً للتّفسير على أساس تطوّر العلوم اللّغويّة، فتحكم قواعده قوانين صوتيّةً يمكن الإفادة منها في تفسير معظم حالاته؛ من أبرزها قانون المخالفة الصّوتيّة؛ إذ يمكننا تعليل التّغيّرات الصّرفيّة والصّوتيّة التي تصيب بنية بعض الكلمات الخاضعة للإبدال على أساس هذا القانون.

كلماتٌ مفتاحيّةٌ: الإبدال، المخالفة الصّوتيّة، الصّوائت، الصّوامت.

[1] – مدرّس متفرّغ في قسم اللغة العربيّة في كليّة الآداب جامعة تشرين .

The effect of the phonemic violation law on substitution relations

abstract

Substitution is the response of a sound to the effect of another sound followed by or preceded by a response justified by the proximity of the two sounds in a word or speech and their proximity in the exit or adjectives.

The researchers found that its purpose is to reduce the weight of some adjacent letters that cause phonemic inconsistency in the word and stress the members of the pronunciation, so he resorts to it to overcome difficulties in pronunciation, which could result if he did not resort to it.

The phenomenon of substitution is a characteristic that can be explained on the basis of the development of linguistic sciences, as its rules are subject to phonetic laws that can be used to explain most of its cases.

The substitution relations are subject to acoustic laws, most notably the acoustic offense law; We can explain some of the morphological and phonetic changes that affect the structure of the word on the basis of this law.

Keywords: substitution, phonemic irregularity, vowels, consonants.

المقدّمة:

تعرّف المخالفة الصّوتيّة بأنّها العمليّة التي يتمّ بموجبها تغيير أحد الصّوتيّن المتماثلين في الكلام إلى صوتٍ آخر من أجل تجنّب الصّعوبة في تكرار النّطق بالصّوت الواحد[2]، فهي تعديل الصّوت الموجود في سلسلة الكلام بتأثير صوتٍ مجاورٍ، ولكنّه تعديلٌ عكسيٌّ، يؤدّي إلى زيادة مدى الخلاف بين الصّوتيّن؛ والأبنية الصّرفيّة تتشكّل وتتغيّر في معظمها من خلال المماثلة بين الصّوائت[3] وأنصاف الصّوائت[4]، ومن خلال المخالفة أيضاً، فالمخالفة أكثر فاعليّةً في التّفريق بين المعاني[5].

وقد تنبّه القدماء إلى ظاهرة المخالفة كما تنبّهوا إلى المماثلة، وأوردوها في حدود متناثرة ضمن كتب اللّغة والنّحو والتّصريف، فقد ورد عن سيبويه في حديثه عن إبدال الياء مكان اللام لكراهية التّضعيف، وقد وردت إشاراتٌ في كتب القدماء إلى موضوع

---

[2] – ينظر: عبد التواب، د . رمضان . *التطور اللّغويّ" مظاهره وعلله وقوانينه"* (القاهرة: مكتبة الخانجي، د . ت . ط) 37 . وهريدي، د.أحمد عبد المجيد، *ظاهرة المخالفة الصوتية ودورها في نمو المعجم العربي* (القاهرة: مكتبة الخانجي،1989) 15.

[3] – الصّوائت مصطلحٌ لغويٌّ اقترحه بعض اللّغويّين العرب ترجمةً لمصطلح (vowel) الإنكليزيّ، و(voyelle) الفرنسيّ .وهو الصّوت المجهور (voiced sound) الذي يحدث في أثناء النّطق به أن يمرّ حرّاً طليقاً، من دون أن يقف في طريقه أيّ عائقٍ أو حائلٍ, ومن دون أن يضيق مجرى الهواء ضيقاً من شأنه أن يحدث احتكاكاً ؛ والصوائت هي أصوات المدّ القصيرة (الفتحة والضّمّة والكسرة) والطويلة (الألف والواو والياء)، ويقابلها مصطلح الصوامت وهي الحروف الصحاح. ينظر: أنيس، د.إبراهيم. *الأصوات اللّغويّة* (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصريّة، 1979م،5) 28.

[4] – إنّ نشوء شيءٍ من الاحتكاك في بعض الحالات في أثناء النّطق بالأصوات الصّائتة ، ينتج نوعاً من الأصوات أطلق عليه مصطلح (أنصاف الصّوامت أو أنصاف الصّوائت) أو (أنصاف المدّ) أو (أشباه الصّوائت أو الحركات) ، ولا يوجد في اللّغة العربيّة سوى صوتين ينطبق عليهما هذا الوصف هما :

أ- الياء (y) في مطلع الفعل (يَأكل) ، والاسم (يَد) .

ب- الواو (w) في مطلع كلمتي (وَلَدَ) و (وَاحد) .

ينظر : بشر، د. كمال. *علم اللّغة العام "الأصوات"* (مصر: دار المعارف،5،1979)85.

[5] – ينظر : عمر، د . أحمد مختار . *دراسة الصوت اللغوي* (القاهرة: عالم الكتب، 1981 ،1) 329 . والقرالة، د . زيد خليل . *الحركات في اللغة العربية* (إربد: عالم الكتب الحديث، 1،2004) 106.

المخالفة، وكانت الكراهية هي العلّة التي لجأ إليها القدماء في تفسيرهم حالاتٍ من المخالفة، وإن كانت الإشارات مجملةً[6].

وأشار الدكتور عبد الصبور شاهين إلى أنّ العربيّة "عرفت هذه الظّاهرة في كلمات مثل: تظنّن، حيث توالت ثلاث نونات، فلّما استثقل النّاطق ذلك تخلّص من أحدها بقلبها صوت علّةٍ، فصارت: تظنّى... ولها أمثلةٌ في الفصحى، مثل: نفث المخ أنفثته نفثاً، لغةً في نقوته، إذا استخرجته، كأنّهم أبدلوا الواو تاءً".[7]

وسمّي هذا المصطلح في ضوء الدّرس الصّوتيّ الحديث قانون المخالفة (dissimilation [8]) أو المغايرة (polarity)[9] أو التّخالف أو التّغاير، ودلالته تأثر صوتٍ بصوتٍ، صامتاً (Consonant) كان أم صائتاً (Vowel).

وقد أشار أحمد هريدي إلى أنّ المخالفة هي سلب المماثلة أو إزاحتها أو إزالتها.[10]

ويرى كثيرٌ من اللّغويين المحدثين أنّ الإبدال بنوعيه المطّرد القياسيّ الذي يسمّى الإبدال الصّرفيّ الشّائع[11]، وهو من صميم الدّراسات الصّرفيّة ذات القوانين والشروط والضّوابط الناظمة، والإبدال غير المطّرد السّماعيّ الذي يسمّى الإبدال اللّغويّ أو الصّوتي[12] يخضع لتأثير قانون المخالفة الصّوتيّة بوصفه واحداً من أبرز القوانين الصّوتيّة التي تحكم علاقات الإبدال في العربيّة.

---

[6] – ينظر: سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان . *الكتاب* . تح: عبد السلام هارون (بيروت: عالم الكتب، 3،1983) 424/4 .

[7] – عبد التّواب، د . رمضان . *التّطوّر اللّغويّ " مظاهره وعلله وقوانينه"* . 328

[8] – ينظر: *المرجع السابق* . 329 . والقرالة، د . زيد خليل . *الحركات في اللغة العربية"*. 89 .

[9] – ينظر: المطّلبي، د . غالب فاضل . *في الأصوات اللّغوية ، دراسة في أصوات المدّ العربيّة* (العراق: وزارة الثقافة والإعلام، 1،1984) 251 .

[10] – ينظر: هريدي، د.أحمد. *ظاهرة المخالفة الصوتية ودورها في نمو المعجم العربي*.17.

[11] – الإبدال الصّرفيّ هو جعل عليلٍ مكان صحيحٍ أو عكسه أو مكان صحيحٍ لا لموجبٍ . ينظر: الأندلسي، أبو حيّان. *تقريب المقرّب*. تح: د. عفيف عبد الرحمن (بيروت: دار المسيرة، 1982، 1) 122، وحسن، د.عبّاس. *النحو الوافي*(مصر: دار المعارف، 1968، 2)4/ 700. واللبديّ، د.محمد سمير نجيب. *معجم المصطلحات النحويّة والصرفيّة*(بيروت: مؤسسة الرسالة، 1986، 2) 19.

[12] – لم يصرّح علماء العربيّة الأقدمون بأنّه الإبدال اللغويّ، وسمّوه البدل الشائع في كلام العرب أو البدل الشائع لغير الإدغام، وهو الإبدال السّماعيّ غير المقيس الذي لا يخضع لقواعد ناظمةٍ تضبطه، ولا يحتاج إلى عناءٍ في

أهمّيّة البحث:

يحاول بحثنا دراسة بعض علاقات الإبدال بنوعيه الصّرفيّ واللّغويّ وتعليلها من خلال قانون المخالفة الصّوتيّة الّذي يسوّغ لنا لجوء العربيّة إلى التخلّص من هذا التّجاور الصّوتيّ الناتج عن صعوبة تكرار نطق الصّوت عينه، ولا سيّما أنّ هذا الموضوع لم يلقَ عنايةً من قبل علماء اللّغة القدماء الذين انصبّ تركيزهم على دراسة الإبدال الصرفيّ بوصفه مبحثاً صرفيّاً خالصاً، فلم يكن لعلم الأصوات حضورٌ في تعليلاتهم بعض علاقات الإبدال الصّرفيّ الّتي استندت عندهم إلى مسألتي الثّقل والخفّة على نحوٍ عامٍّ؛

أما الإبدال اللّغويّ فلم يخضعوه لقوانين تحكمه ولم يقيسوا عليه، على الرغم من وجود قوانين صوتية تحكم غير قليلٍ من حالاته.

وانطلاقاً من أنّ الإبدال يمثّل خصيصةً لغويّةً قابلةً للتّفسير على أساس تطوّر العلوم اللّغويّة، فتخضع قواعده لقوانين صوتيّةٍ يمكن الإفادة منها في تفسير بعض علاقاته، ومن أبرز هذه القوانين قانون المخالفة الصّوتيّة؛ إذ يمكننا على أساس هذا القانون تعليل بعض التّغيّرات الصّوتيّة التي تصيب بنية الكلمة، والتي تنتج من تأثير الأصوات بعضها ببعضٍ.

منهج البحث:

نهجنا في بحثنا منهجاً وصفيّاً تحليليّاً, فكان عملنا استقرائيّاً، يعتمد على تتبّع العلاقات الصّوتيّة والصّرفيّة, ووصفها وتعليلها وتحليلها, من دون أن نهمل المنهج التّاريخيّ المرتبط بتحديد مصطلح المخالفة عند القدماء والمحدثين, وتبلوره عندهم.

تفسيره، إذ لم تتعمّد العرب تعويض حرف من حرفٍ، إنّما هي لغاتٌ مختلفةٌ لمعانٍ متّفقةٍ ، تتقارب اللّفظتان في لغتين لمعنى واحدٍ, فلا تختلفان إلاّ في حرفٍ واحدٍ، والدّليل على ذلك أنّ قبيلةً واحدةً لا تتكلّم بكلمةٍ طوراً مهموزةٌ, وطوراً غير مهموزةٍ, ولا بالصّاد مرّة وبالسّين أخرى. ينظر: اللغويّ، أبو الطيّب، *كتاب الإبدال*. تح : عز الدين التّنوخي (دمشق: مجمع اللغة العربيّة، 1961م،1) 9/1. (من مقدّمة المحقّق) .

والسّيوطيّ، جلال الدّين بن عبد الرّحمن. *همع الهوامع في شرح جمع الجوامع*.تح: أحمد شمس الدّين (بيروت: دار الكتب العلمية، 2006،2) 3/426-427. وأنيس، د. إبراهيم. *من أسرار اللّغة* (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصريّة، 1985م، 7) 69.

المشكلة العلميّة للبحث:

يعيد البحث دراسة بعض علاقات الإبدال دراسةً صوتيّةً صرفيّةً، ويهدف إلى تقديم قراءةٍ علميّةٍ تنطلق من علم الأصوات بوصفه مرتكزاً أساساً لفهم كثيرٍ من العلاقات التي يبني عليها علم الصّرف قواعده.

أثر قانون المخالفة الصّوتيّة في علاقات الإبدال:

ينقسم الإبدال إلى قسمين صرفيٍّ ولغويّ، وهذا يعني أنّ إبراز أثر قانون المخالفة في علاقات الإبدال يتمّ على وفق الآتي:

– أثر قانون المخالفة الصّوتيّة في علاقات الإبدال الصّرفيّ.

– أثر قانون المخالفة الصّوتيّة في علاقات الإبدال اللغويّ.

أوّلاً– أثر قانون المخالفة الصّوتيّة في علاقات الإبدال الصّرفيّ :

يعدّ قانون المماثلة الصّوتيّة ظاهرةً سالبةً في حياة اللّغة؛ إذ يسعى إلى تقليل الخلافات بين الفونيمات، وهذا يؤدّي إلى تقليل الفونيمات، في الوقت الذي يعمل فيه قانون المخالفة الصّوتيّة على نحوٍ مغايرٍ، فيسعى إلى التخلّص من المشقّة التي تولّدها صعوبة تكرار النّطق بالصّوت الواحد، وذلك من خلال تغيير أحد الصّوتين، واستبداله بصوتٍ آخر[13]، يغلب أن يكون من الأصوات الصّائتة الطّويلة أو من الأصوات المائعة (ل،ن،ر،م) أو الرّنّانة[14].

ونستطيع من خلال قانون المخالفة الصّوتيّة تفسير عدد من التتابعات الصّوتيّة غير المستساغة التي تنتج من اجتماع الصّوائت وأنصاف الصّوائت في بعض الصّيغ الصّرفيّة التي تولّدها عمليّات الإبدال الصّرفيّ، ومن أبرزها:

---

[13] – ينظر: عمر، د . أحمد مختار . *دراسة الصّوت اللغويّ* . 329 . ود . القرالة، زيد خليل . *الحركات في اللغة العربية* . 89 .

[14] – ينظر: عبد التواب، د . رمضان . *التّطوّر اللّغويّ " مظاهره وعلله وقوانينه* " . 37، والقرالة، د . زيد خليل . *الحركات في اللّغة العربية* . 63 .

1- توالي صوائت طويلةٍ وأنصاف صوائت في اسم الفاعل من الفعل الثّلاثي المعتلّ الأجوف:

ومن أمثلة هذا التّتابع الصّوتيّ[15]:

هام ← يهيم ← هايم ← هائم

إذ نجد صائتاً طويلاً (الألف) في الفعل الماضي الثلاثي المجرّد (هام)، نردّه إلى أصله، فيتحوّل إلى صائت طويل آخر(الياء)، ويتحوّل هذا الصّائت إلى نصف صائت في اسم الفاعل (هايم)، فيتوالى صوتٌ صائتٌ طويلٌ ونصف صائتٍ , فيُبدل نصف الصّائت همزةً.

ومن أمثلته أيضاً[16]:

قام ← يقوم ← قاوم ← قائم

وقد عدّ عبد الصبور شاهين هذا القلب وسيلة صوتية لتصحيح المقطع وتقويته فالمقطع الأخير في " ها/يم – قا/وم يبدأ بحركة مزدوجة[1] تالية لحركة طويلة وهذا ضعف في البناء المقطعي "[2]؛ إذ سقطت الحركة المزدوجة وحلت محلها الهمزة، فإذا رمزنا للحركة المزدوجة بالرمز (ق) يكون النمط التّشكيلي لـ(قائم) على النحو الآتي:

ص ح ح /ق ص ← ص ح ح /ص ح ص

وما حدث يوافق القاعدة الصّرفيّة التي تقول:

إذا وقعت الواو أو الياء عيناً لاسم فاعلٍ أعلّت عين فعله، قلبت همزةً. [17]

2- توالي صوائت طويلةٍ زائدةٍ وأنصاف صّوائت متطرّفةٍ بعد ألفٍ زائدةٍ:

ومن أمثلة هذا التّتابع الصّوتيّ[18]:

---

[15] – ينظر: ابن جنّي . أبو الفتح عثمان . *المنصف شرح كتاب التصريف للمازني* . تح: محمد عبد القادر أحمد عطا (بيروت: دار الكتب العلمية،1،1999)244 .

[16] – ينظر: ابن عقيل، بهاء الدين . *شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك* . تح: محمد محيي الدين عبد الحميد(مصر: مطبعة السعادة، 15،1965) 549/2 .

[17] – ينظر: ابن جنّي . *المنصف شرح كتاب التصريف للمازني* . 244 . والإشبيليّ، ابن عصفور . *الممتع في التّصريف* . تح: د . فخر الدين قباوة (بيروت: دار المعرفة،1،1987) 320/1 .

[18] – ينظر: ابن عقيل . *شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك* . 2 /549 .

شفى ← يشفي ← شفاي ← شفاء

والتشكيل الصّوتيّ (شفاي) الذي تشكّل من تتالي صوت صائت طويل (الألف)، ونصف صائت (الياء) غير مستساغٍ، ما أوجب إبدال نصف الصّائت (الياء) همزة.

ومن أمثلته أيضاً[19]:

دعا ← يدعو ← دعاو ← دعاء

والقاعدة الصّرفيّة الموافقة لذلك تقول: تبدل (الياء والواو) همزةً إذا تطرّفت بعد ألفٍ زائدةٍ.[20]

3- توالي صّوائت طويلةٍ و أنصاف صّوائت في جموع التّكسير على مثال (مفاعل):

ومن أمثلة هذا التّتابع الصّوتيّ[21]:

كتيبة ← كتايب ← كتائب

والتشكيل الصّوتيّ (كتايب) الذي تشكّل من تتالي صوت صائت طويل (الألف)، ونصف صائت (الياء) غير مستساغٍ، ما أوجب إبدال نصف الصّائت (الياء) همزة، هروباً من ثقلٍ في النّطق ينتجه تجاور صوتين متقاربين في خصائصهما الصّوتيّة هما نصف الصّائت (الياء) والصّائت الطّويل (الألف).

---

[19] – ينظر: ابن عقيل . *شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك* . 549/2 .

[20] – ينظر: ابن جنّي، أبو الفتح عثمان . *سرّ صناعة الإعراب*(دمشق: دار القلم،1،1985) 72/1 . وابن السراج، أبو بكر محمد بن السّري . *الأصول في النحو* . تح: عبد الحسين الفتلي (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1،1985) 244/3 . وابن يعيش، موفق الدين . *شرح المفصل للزمخشري* (بيروت: عالم الكتب، د . ت . ط) 8/10 . 553هـ

[21] – ينظر: ابن عقيل . *شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك* . 550/2 .

ومن أمثلته أيضاً[22]:

عجوز ← عجاوز ← عجائز

والقاعدة الصّرفيّة تقول: تقلب (الياء والواو) همزةً، إذا وقعت بعد ألف (مفاعل)، وكانت مدّة زائدة ثالثة في مفرده.[23]

ومن أمثلة هذا التّتابع الصّوتيّ أيضاً[24]:

ميّت ← ميايت ← ميائت

والتشكيل الصّوتيّ (ميايت) الذي تشكّل من تتالي صوتٍ صائتٍ طويلٍ (الألف)، ونصف صائتٍ (الياء) غير مستساغٍ، ما أوجب إبدال الصّوت الأضعف، وهو نصف الصّائت (الياء) همزةً، من أجل تجنّب الصّعوبة النّاتجة من تكرار نطق صوتين متقاربين في خصائصهما الصّوتيّة.

ومن أمثلته أيضاً[25]:

أوّل ← أواول ← أوائل

والقاعدة الصّرفيّة تقول:إذا وقعت (الياء والواو) ثاني حرفين ليّنين بينهما ألف مفاعل قلبت همزةً[26].

ومن الواجب الإشارة إلى أنّه إذا لم يكن حرف المدّ زائداً في المفرد لم يقلب همزةً، نحو[27]:

---

[22] – ينظر: ابن عقيل . *شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك* . 550/2 .

[23] – ينظر: ابن السراج . *الأصول في النحو* . 3/ 287 . وابن عقيل . *شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك* . 550/2-551 .

[24] – ينظر: ابن جنّي . *المنصف شرح كتاب التصريف للمازني* . 319 .

[25] – ينظر: ابن عقيل . *شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك* . 2 /551 .

[26] – ينظر: سيبويه . *الكتاب* . 369/4 . وابن مالك، محمّد بن عبد الله . *شرح الكافية الشّافية* . تح: د . عبد المنعم هريدي (مكة المكرمة: دار المأمون للتّراث،1،1984) 2085/4 .

مفازة ← مفاوِز (الصحراء الواسعة)

ومعيشة ← معايش

إذ يعود السّبب إلى أنّ العرب لم تستسغ إبدال حرفٍ أصليٍّ (الواو في مفاوز) و(الياء في معايش) بآخر طارئٍ، على الرغم من صعوبة نطق الكلمة في تشكيلها البنيويّ الأصليّ.

4- توالي صوائت طويلةٍ وأنصاف صوائت عند اجتماع واوين،الأولى متصدّرة والثّانية متأصّلة في الواويّة:

ومن أمثلة هذا التّتابع الصّوتيّ[28]:

أوّل ← وولى ← أولى

والتشكيل الصّوتيّ (وولى) الذي تشكّل من تتالي نصف صائت (الواو)، ونصف صائت آخر (الواو) غير مستساغٍ، ما أوجب إبدال نصف الصّائت الأوّل منهما (الواو) همزةً، وذلك للهروب من صعوبة النّطق التي يولّدها تكرار النطق بالصّوت الواحد عينه.

ومن أمثلته أيضاً[29]:

واقفة ← وواقف ← أواقف

والقاعدة الصّرفيّة تقول: إذا اجتمعت واوان، الأولى متصدّرة والثّانية ساكنة متأصّلة في الواويّة، أو متحرّكة متأصّلة في الواويّة، تبدل الواو الأولى همزةً.[30]

---

[27] – ينظر: ابن جنّي . *المنصف شرح كتاب التصريف للمازني* . 273 . وابن عقيل . *شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك* . 550/2 .

[28] – ينظر: ابن السرّاج . *الأصول في النحو* . 3 /344 .

[29] – ينظر: ابن جنّي . *المنصف شرح كتاب التصريف للمازني* . 201 . وابن عقيل . *شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك* . 552/2 .

[30] – ينظر: ابن السراج . *الأصول في النحو* . 344/3 .

والواضح من الأمثلة السّابقة كلّها أنّ الأصوات غير المستساغة التي ولّدتها تتابعات الصّوائت وأنصاف الصّوائت أو أنصاف الصّوائت فيما بينها، اضطرّت العرب إلى الهروب منها جميعاً، وذلك بإبدال أحد الصّوائت أو أنصاف الصّوائت همزةً.

وتعدّ الهمزة الصّوت الأكثر مناسبة لهذه النوع من الإبدال؛ إذ إنّها تسلك مسلك الأصوات الصّائتة في البناء الصّوتيّ للكلمات، وذلك لطبيعة مخرجها من حيث قربها صوتياً من الصّوائت[31]؛ وما يؤكّد هذه المسألة تحليل صوت الهمزة غير المستقرّ مختبريّاً، وإبدال العرب الصّوائت بالهمزة في مواضع عدّة، وهذا ما يسوّغه وجود بعض الكلمات التي تبدل فيها الهمزة صوتاً صائتاً مثل تحوّل الجموع ممّا لامه همزة من بناء (فعائل) إلى (فعالى)، نحو[32]:

(رزيئة) ← (رزايا)

إذ توصف بأنّها صوتٌ صائتٌ على درجةٍ عاليةٍ من التّوتّر أو صوتٌ صامتٌ ضعيفٌ بدليل أنّه لا يمكن أن يبتدِئ الكلام به [33]؛ وهذا يعني أنّ التداخل الفونيميّ (وهو إمكانية انتماء الصوت الواحد إلى فونيمين مختلفين أو قدرة الصوت الواحد في حالات معينة على تجسيد فونيمين مختلفين)[34] بين الأصوات الصّائتة الطّويلة والأصوات نصف الصّائتة وبين الهمزة هو الذي جعل العرب يقرّون بوجود علاقة مؤاخاةً بينهم[35].

ثانياً– أثر قانون المخالفة الصّوتيّة في علاقات الإبدال اللّغويّ:

[31] – ينظر: القيسي، مكي بن أبي طالب . *الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق حفظ التلاوة* . تح: د . أحمد حسن فرحات (دمشق: دار الكتب العربية، دار المعارف للطباعة، 1973) 75 .

[32] – ينظر: ابن جنّي . *المنصف شرح كتاب التصريف للمازني* . 327 .

[33] – ينظر: المطّلبي، د . غالب فاضل . *في الأصوات اللّغويّة " دراسة في أصوات المدّ العربيّة "* . 277 .

[34] – ينظر :النوري، د.محمد جواد. *من لسانيات اللغة العربية – علم الأصوات* (بيروت: دار الكتب العلمية،1، 2019) 164.

[35] – القيسي، مكي بن أبي طالب . *الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق حفظ التلاوة* . 75 .

تباينت آراء اللّغويّين في بعض مسائل الإبدال، لكنّهم أجمعوا على أنّ هنالك أنواعاً منه نشأت من أسبابٍ صوتيّةٍ يؤكّد ذلك قول ابن فارس " إنّ من سنن العرب إبدال الحروف, وإقامة بعضها مقام بعضٍ, ويقولون: (مدحه ومدهه) و (فرسٌ رِفَلٌّ ورِفَنٌّ), وهو كثيرٌ مشهورٌ قد ألّف فيه العلماء "[36].

وتركّز دراستنا على تفسير حالاتٍ من الإبدال الصّوتيّ التي يؤدّي قانون المخالفة الصّوتيّة دوراً رئيساً فيها؛ إذ تخضع بعض علاقات التّأثّر بين الأصوات المتجاورة لهذا القانون الفاعل.

ويستعين قانون المخالفة الصّوتيّة بالصّوائت القصيرة والطّويلة للهروب من مشقّاتٍ نطقيّةٍ, كما يستعين بالأصوات المائعة (ر، ل، م، ن)[37]، وهي أصوات يصاحبها اتّساعٌ أو تسرّبٌ في مجرى النّفس[38].

واستناداً إلى هذا القانون يمكن أن نفسّر كثيراً من الإبدالات الصّوتيّة التي تطرأ على الأفعال والأسماء.

أولاً – الأفعال وقانون المخالفة الصّوتيّة:

1- الأفعال ذات الأحرف المتماثلة وقانون المخالفة الصّوتيّة.

2- الأفعال المعتلّة اللام وقانون المخالفة الصّوتيّة.

1- الأفعال ذات الأحرف المتماثلة وقانون المخالفة الصّوتيّة:

---

[36] – ابن فارس، أبو الحسين أحمد . *الصّاحبي في فقه اللّغة وسنن العرب في كلامها* . حققه وقدّم له : مصطفى الشويمي (بيروت: مؤسسة أ . بدران للطباعة والنّشر، 1963م) 203 .

[37] – اختلف المحدثون في حصر هذه الأصوات، فمنهم من عدّها مؤلفة من (اللام والنون والرّاء)، ومنهم من عدّها مكوّنة من (اللام والنّون والرّاء والميم)، ومنهم من أضاف إليها نصفي الصّائتين (الواو والياء)؛ للتوسّع ينظر: كانتينو، جان . *دروس في علم أصوات العربية* . تر: صالح القرمادي (تونس، الجامعة التونسيّة، مركز الدراسات والبحوث الاجتماعية والاقتصادية، 1966) 74 . والطّحان ، ريمون . *الألسنية العربية* (بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1،1972) 45 . ومالبرج، برتيل . *علم الأصوات* . تر: د . عبد الصبور شاهين (القاهرة: مكتبة الشّباب، 1985) 31 .

[38] – ينظر: قدور، د . أحمد محمد . *مدخل إلى فقه اللغة العربيّة* (دمشق: دار الفكر،2،1999) 189 .

يخضع قسمٌ من الألفاظ العربيّة لتأثير قانون المخالفة الصّوتيّة؛ إذ نجد بعضاً من الأفعال الثّلاثيّة المضعّفة قد نزعت إلى إبدال أحد المضعّفين نوناً في أفعال مثل[39]:

جدّل ← جندلَ

عكّب ← عنكبَ

وقد افترض بعض اللّغويين أن تكون الكلمات العربيّة الكبيرة البنية التي تشتمل على راء أو لام أو نون أو ميم قد تولّدت نتيجة عامل المخالفة بين صوتين متماثلين[40]، والذي يسهم في بناء تشكيلاتٍ بنيويّةٍ مختلفةٍ لكثيرٍ من الأفعال المضعّفة، على وفق سياقاتٍ معيّنةٍ، منها:

أ- توالي صامتين متماثلين، فيتمّ استبدال أحد المضعّفين بصوتٍ صائتٍ طويل، نحو[41]:

أملّ ← يملل ← أملى ← يملي

جلّ ← يجلل ← جلا ← يجلو

كعّ ← يكعّ ← كاع ← يكيع

ب-توالي ثلاثة صوامت متماثلة، فيتمّ استبدال الصّامت الأخير بصوتٍ صائتٍ، نحو[42]:

تسرّر ← تسرّى

تصدّد ← تصدّى

تقضّض ← تقضّى

ولتوضيح ذلك نتناول المثال الآتي بالتحليل:

تسرّر ← تسرّى

---

[39] – ينظر: ابن جنّي . *الخصائص* . 3/ 18 .

[40] – ينظر: عمر، د . أحمد مختار . *دراسة الصوت اللغوي* . 330 .

[41] – ينظر: اللغويّ، أبو الطيب. *كتاب الإبدال* . 323/2 .

[42] – ينظر : ابن جنّي . *سرّ صناعة الإعراب* . 775/2 .

إذ تتوالى ثلاثة صوامت متماثلة (ر+ر+ر)، فتقع المخالفة من خلال سقوط الصّامت المماثل الأخير (الرّاء)، فتتوالى الصوائت القصيرة المتماثلة (الفتحة)، فيتشكلّ صائت طويل من جنسها (الألف)؛ وما يجب توضيحه هو أنّ الصّائت الطّويل (الألف) تشكّل بعد سقوط الصّامت نتيجة قانون المخالفة الصّوتيّة، ولم يحدث تبادلٌ بينه وبين الصّامت (الرّاء)، كما يعتقد بعض اللّغويّين؛[43] ويرجّح هذا الوجه ما يطرأ على الفعل عندما تتّصل به تاء الفاعل المتحرّكة، على وفق الآتي:

تسرّرَ ← تسرّرتُ ← تسرَّتُ ← تسرّيتُ

وقد سقطت لام الفعل في صيغة (تسرّتُ) بعد سقوط الصّامت المماثل الأخير (الرّاء)، ما ولّد وزناً صرفياً غير متداولٍ (تفعّتُ)، فأوجب ذلك دخول صوت صائتٍ (الياء) كي يعيد التّوازن للكلمة، فحلّت الياء مكان الصّامت المحذوف؛ وهذا يعني أنّ الصّامت الأخير (الرّاء) قلب ياءً هروباً من التّضعيف[44].

ويفسّر سبب تفضيل الياء على الواو في عمليات الإبدال هذه بأنّ الواو أثقل من الياء من حيث الجهد العضليّ المبذول في نطقها، على الرّغم من أنّ الياء أثقل من الواو من حيث الأداء الصّوتيّ؛ لكنّ تسكين الياء أخفّ وأظهر من تسكين الواو، لأنّ تسكين الواو لا يفقدها مدّها واحتكاكها، ولعلّ إحساس العرب بخفّة الياء كان الدّافع لاستعمالها، إذ ورد عن اللغويين العرب أنّ الضّمّة والكسرة حركتان ثقيلتان متباينتان في المخرج، لكنّ الأولى أثقل للاحتياج فيها إلى تحريك عضلتين، ثمّ الكسرة إذ لايحتاج فيها إلّا إلى تحريك عضلةٍ واحدةٍ، ثمّ الفتحة إذ لا يحتاج فيها إلى تحريك عضلة[45].

2-الأفعال المعتلّة الّلام وقانون المخالفة الصّوتيّة:

يظهر دور قانون المخالفة الصّوتيّة في الأفعال المعتلّة الّلام عند استخدامها للدّلالة على المثنّى، ويفسّر ذلك بأنّ دخول الصائت الطّويل (الألف) يسمح بظهور تتابعات

---

[43] – ينظر: القرالة، د . زيد . *الحركات في اللغة العربية* . 92 .

[44] – ينظر : ابن جنّي . *سرّ صناعة الإعراب* . 2/ 775 .

[45] – ينظر : الجاربردي، فخر الدّين أحمد بن الحسن . *مجموعة الشّافية من علمي الصّرف والخطّ*، وحاشية ابن جماعة الكناني على الشرح (بيروت: عالم الكتب، 1980،1)29/1 .

صائتيّة طويلة متماثلة، والصّوائت لا تتوالى، وفي الوقت عينه لابد من ثبات الصّائت الطّويل (الألف) الدّال على التثنية، لأنّ حذفه غير واردٍ، فيتحول الصّائت الطّويل السّابق(الألف) إلى نصف صائت (الياء)، خضوعاً لقانون المخالفة الصّوتيّة، ولتوضيح ذلك نأخذ المثال الآتي:

يهوى ← يهوى + ان ← يهويان

إذ يدخل الصائت الطّويل (الألف)، فتتتابع الصّوائت الطّويلة المتماثلة (الألف المقصورة + الألف الممدودة)، فيتحوّل الصّائت الطّويل(الألف المقصورة) إلى نصف صائت (الياء) بعد اتّصال الصّائت الطّويل (الألف) بها، وذلك لعدم جواز توالي الصّوائت المتماثلة [46].

ثانياً– الأسماء وقانون المخالفة الصّوتيّة:

– الأسماء ذات الأحرف المتماثلة وقانون المخالفة الصّوتيّة.

تبدل الأسماء ذات الأحرف المتماثلة بأصواتٍ صائتةٍ أو نصف صائتةٍ أو مائعة، ويسهم قانون المخالفة الصّوتيّة في خلق تشكيلاتٍ بنيويّةٍ مختلفةٍ لكثيرٍ من الأسماء المضعّفة، أي تلك الكلمات التي اجتمعت فيها أصواتٌ متماثلةٌ, ومنها [47]:

قرّاط ← قيراط (ر+ر) ← (ي+ر)

وقد حدثت مخالفةٌ صوتيّةٌ بين الصّوتيّن المتماثلين المتجاورين (ر+ر)، وذلك بقلب الصّوت الأوّل الواقع ساكناً في نهاية المقطع الأوّل (الرّاء) إلى أحد الأصوات الصّائتة (الياء)؛ أمّا السّبب في إبدال الحرف المضعّف بصائتٍ طويلٍ أو نصف صائتٍ، فهو كراهية التّضعيف والكسر، لذلك يلجأ المتكلّم إلى إبدال أحد الأصوات الصّامتة المتماثلة بأحد الأصوات الصّائتة، وقد اختاروا الياء لمماثلة الكسرة التي تسبقها، وهذا من باب التّماثل الحركيّ .

---

[46] – ينظر : القرالة، د . زيد خليل . *الحركات في اللغة العربيّة* . 96 .

[47] – ينظر : المبرد. *المقتضب*.62/1 . والمطلبي، د . غالب فاضل . *في الأصوات اللّغويّة " دراسة في أصوات المدّ العربيّة"* . 284 .

ومما تقدّم نجد أنّ قانون المخالفة الصّوتيّة يؤدّي دوراً مهمّاً في عمليّات الإبدال الصّوتيّ؛ إذ يسهم في تحقيق الانسجام النّطقي والهروب من مشقّات صوتيّة تولّدها تشكيلات بنيويّة للكلمات قبل وقوع الإبدال.

وتعتمد عمليّات الإبدال الصّوتيّ على الصّوائت لسهولة نطقها وقدرتها على خلق مدى صوتيّ يؤدّي إلى تشكيلٍ بنيويّ مستساغٍ، وذلك من خلال الاستعانة بقانون المخالفة الصّوتيّة.

وما تجدر الإشارة إليه أنّ الاستعانة بالأصوات المائعة له ما يسوّغه من حيث بنية هذه الأصوات التي تخرج دون انفجار أو احتكاك، فيتّسع مجرى الهواء عند نطقها بما يقرّبها من الصّوائت، وتكون حركة الهواء مسموعة عند نطقها.[48]

[48] – ينظر : قدور . د . أحمد محمد، *مدخل إلى فقه اللغة العربيّة* . 189 .

نتائج البحث

توصّل البحث إلى النّتائج والمقترحات الآتية:

1- نستطيع من خلال قانون المخالفة الصّوتيّة تفسير عدد من التتابعات الصّوتيّة غير المستساغة التي تنتج من اجتماع صوائت وأنصاف صوائت في بعض الصّيغ الصّرفيّة التي تولّدها عمليّات الإبدال الصّرفيّ مثل توالي صوائت طويلة وأنصاف صوائت في اسم الفاعل من الفعل الثّلاثي المعتلّ الأجوف، وتوالي صوائت طويلة زائدة وأنصاف صوائت متطرّفة بعد ألف زائدة، وتوالي صّوائت طويلة وأنصاف صّوائت في جموع التّكسير على مثال (مفاعل)، وتوالي صّوائت طويلة وأنصاف صوائت عند اجتماع واوين، الأولى متصدّرة والثّانية متأصّلة في الواويّة.

2- إنّ الأصوات غير المستساغة التي ولّدتها تتابعات الصوائت وأنصاف الصوائت أو أنصاف الصوائت فيما بينها، فهربوا منها جميعاً، وذلك بإبدال أحد الصوائت أو أنصاف الصوائت همزةً.

3- إنّ التداخل الفونيميّ (وهو إمكانية انتماء الصوت الواحد إلى فونيمين مختلفين أو قدرة الصوت الواحد في حالات معينة على تجسيد فونيمين مختلفين) بين الأصوات الصائتة الطويلة والأصوات نصف الصائتة والهمزة هو الذي جعل العرب يقرّون بوجود علاقة مؤاخاةً بينهم.

4- يُمكّننا قانون المخالفة من تفسير بعض الإبدالات اللّغويّة التي تطرأ على الأفعال والأسماء في العربيّة.

5- يُفسَّر سبب تفضيل الياء على الواو في عمليات الإبدال الصّوتيّ بأنّ الواو أثقل من الياء من حيث الجهد العضليّ المبذول في نطقها، وفق تعبير الجاربردي ؛ لكنّ تسكين الياء أخفّ وأظهر من تسكين الواو، لأنّ تسكين الواو لا يفقدها مدّها واحتكاكها، ولعلّ إحساس العرب بخفّة الياء كان الدّافع لاستعمالها.

6- يظهر دور قانون المخالفة الصّوتيّة في الأفعال المعتلّة اللّام عند استخدامها للدّلالة على المثنّى، ويفسّر ذلك بأنّ دخول الصائت الطّويل (الألف) يسمح بظهور تتابعات صائتيّة طويلة متماثلة، والصّوائت لا تتوالى، وفي الوقت عينه

لابد من ثبات الصّائت الطّويل (الألف) الدّال على التثنية، لأنّ حذفه غير واردٍ، فيتحول الصّائت الطّويل السّابق (الألف) إلى نصف صائت (الياء)، خضوعاً لقانون المخالفة الصّوتيّة.

7- يؤدّي قانون المخالفة دوراً في زيادة مدى الخلاف بين الصّوتيّن الصائتين، ومن ثمّ التّفريق بين المعاني.

8- تبدل الأسماء ذات الأحرف المتماثلة بأصواتٍ صائتةٍ أو نصف صائتةٍ أو مائعة، ويسهم قانون المخالفة الصّوتيّة في خلق تشكيلاتٍ بنيويّةٍ مختلفةٍ لكثيرٍ من الأسماء المضعّفة، أي تلك الكلمات التي اجتمعت فيها أصواتٌ متماثلةٌ.

9- يؤدّي قانون المخالفة الصّوتيّة دوراً مهمّاً في عمليّات الإبدال الصّوتيّ؛ إذ يسهم في تحقيق الانسجام النّطقي والهروب من مشقّات صوتيّة تولّدها تشكيلات بنيويّة للكلمات قبل وقوع الإبدال.

10- تعتمد عمليّات الإبدال الصّوتيّ على الصّوائت لسهولة نطقها وقدرتها على خلق مدى صوتيّ يؤدّي إلى تشكيلٍ بنيويّ مستساغٍ، وذلك من خلال الاستعانة بقانون المخالفة الصّوتيّة.

11- إنّ الاستعانة بالأصوات المائعة في عمليّات الإبدال الصّوتيّ له ما يسوّغه من حيث بنية هذه الأصوات التي تخرج دون انفجار أو احتكاك، فيتّسع مجرى الهواء عند نطقها بما يقرّبها من الصّوائت، وتكون حركة الهواء مسموعة عند نطقها

المصادر والمراجع

- ابن جنّي، أبو الفتح عثمان . *سرّ صناعة الإعراب*(دمشق: دار القلم،1،1985) .
- ابن جنّي . أبو الفتح عثمان . *المنصف شرح كتاب التصريف للمازني* . تح: محمد عبد القادر أحمد عطا (بيروت: دار الكتب العلمية،1،1999) .
- ابن السراج، أبو بكر محمد بن السّري . *الأصول في النحو* . تح: عبد الحسين الفتلي (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1،1985) .
- ابن عقيل، بهاء الدين . *شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك* . تح: محمد محيي الدين عبد الحميد(مصر: مطبعة السعادة، 15،1965) .
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد .*الصّاحبي في فقه اللّغة وسنن العرب في كلامها* . حققه وقدّم له : مصطفى الشويمي (بيروت: مؤسسة أ . بدران للطباعة والنّشر، 1963م).
- ابن مالك، محمد بن عبد الله . *شرح الكافية الشّافية* . تح: د .عبد المنعم هريدي (مكة المكرمة: دار المأمون للتّراث،1،1984).
- ابن يعيش، موفق الدين . *شرح المفصل للزمخشري* (بيروت: عالم الكتب، د.ت.ط)
- الإشبيليّ، ابن عصفور .*الممتع في التّصريف* .تح: د . فخر الدين قباوة (بيروت: دار المعرفة،1،1987) .
- الأندلسي، أبو حيّان. *تقريب المقرّب*. تح: د. عفيف عبد الرحمن (بيروت: دار المسيرة، 1982، 1).
- أنيس، د.إبراهيم. الأصوات اللّغويّة (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصريّة، 1979م،5) .
- أنيس، د. إبراهيم. *من أسرار اللّغة* (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصريّة، 1985م، 7).
- بشر، د. كمال. علم اللّغة العام "الأصوات" (مصر، دار المعارف،5،1979).
- الجاربردي ، فخر الدّين أحمد بن الحسن. *مجموعة الشّافية من علمي الصّرف والخطّ*، وحاشية ابن جماعة الكناني على الشرح (بيروت: عالم الكتب، 1،1980) .
- حسن، د.عبّاس. *النحو الوافي*(مصر: دار المعارف، 1968، 2).

– سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان . *الكتاب* .تح: عبد السلام هارون (بيروت: عالم الكتب، 3،1983).

– السّيوطيّ، جلال الدّين بن عبد الرّحمن. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع.تح: أحمد شمس الدّين (بيروت، دار الكتب العلمية، 2،2006).

– الطّحان ، ريمون . *الألسنية العربية* (بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1،1972) .

– عبد التوّاب، د.رمضان . *التطور اللّغويّ" مظاهره وعلله وقوانينه"* (القاهرة: مكتبة الخانجي، د .ت .ط) .

– عمر، د . أحمد مختار. *دراسة الصوت اللغوي* (القاهرة: عالم الكتب، 1،1981).

– قدور، د . أحمد محمد . *مدخل إلى فقه اللغة العربيّة* (دمشق: دار الفكر،2،1999)

– القرالة، د . زيد خليل . *الحركات في اللغة العربية* (إربد: عالم الكتب الحديث، 1،2004) .

– القيسي، مكي بن أبي طالب . *الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق حفظ التلاوة* . تح: د.أحمد حسن فرحات (دمشق: دار الكتب العربية، دار المعارف للطباعة، 1973) .

– كانتينو، جان . *دروس في علم أصوات العربية* . تر: صالح القرمادي (تونس، الجامعة التونسيّة، مركز الدراسات والبحوث الاجتماعية والاقتصادية، 1966) .

– اللبديّ، د.محمد سمير نجيب. *معجم المصطلحات النحويّة والصرفيّة*(بيروت: مؤسسة الرسالة، 1986، 2).

– اللغويّ، أبو الطيب عبد الواحد بن علي .*كتاب الإبدال* . تح: عز الدين التنوخي (دمشق: مجمع اللغة العربيّة، 1961، 1) .

– مالبرج، برتيل .*علم الأصوات* . تر: د . عبد الصبور شاهين (القاهرة: مكتبة الشّباب، 1985) .

– المطلبي، د. فاضل . *في الأصوات اللّغوية ، دراسة في أصوات المدّ العربيّة* (العراق: وزارة الثقافة والإعلام، 1،1984) .

– النوري، د.محمد جواد. *من لسانيات اللغة العربية – علم الأصوات*(بيروت: دار الكتب العلمية،1،2019)

– هريدي، د.أحمد عبد المجيد، ظاهرة المخالفة الصوتية ودورها في نمو المعجم العربي(القاهرة: مكتبة الخانجي،1989).

sources and references:

1. Ahmed Mukhtar Omar. Study of the linguistic sound (Cairo: World of Books, 1st edition, 1981).
2. Al-Ishbilly, Ibn Asfour. The Fun in Discharging. T.H.: Dr. Fakhruddin Qabawah (Beirut: Dar al-Maarifa, 1987.1).
3. Al-Qaisi, Makki bin Abi Talib. Care to improve reading and achieve memorization of recitation. T: d. Ahmed Hassan Farhat (Damascus: Dar al-Kutub al-Arabiya, Dar al-Maaref for printing, 1973).
4. Cantino, Jean. Lessons in the science of Arabic phonetics. Read: Saleh Al-Qarmadi (Tunisia, Tunisian University, Center for Social and Economic Studies and Research, 1966).
5. Garbery. The Shafia collection of morphology and calligraphy, and Ibn Jama`ah al-Kinani's commentary on the commentary (Beirut: World of Books, 1980, 1).
6. Ghaleb Fadel Al-Muttalebi. In Linguistic Voices, A Study of the Arab Tide Voices (Iraq: Ministry of Culture and Information, 1984,1).
7. Ibn Aqil, Bahaa al-Din. Explanation of Ibn Aqeel on the Alfiya of Ibn Malik. Edited by: Mohamed Mohy El-Din Abdel Hamid (Egypt: Al-Saada Press, 1965,15).
8. Ibn Faris, Abu al-Husayn Ahmad. Al-Sahbi in the jurisprudence of language and the Sunnahs of the Arabs in their speech. Edited and presented to him by: Mustafa Al-Shwaimi (Beirut: A. Badran Foundation for Printing and Publishing, 1963 AD).
9. Ibn Jinni, Abu al-Fath Uthman. The Secret of the Syntax Industry (Damascus: Dar al-Qalam, 1985, 1).

10. Ibn Jinni. Abu Al-Fath Othman. The fair explanation of the book Al-Tasrif Al-Mazni. Edited by: Muhammad Abd al-Qadir Ahmad Atta (Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1999, 1).
11. Ibn Sarraj. Asset in grammar. Edited by: Abdul-Hussein Al-Fatli (Beirut: Al-Resala Foundation, 1, 1985).
12. Ibn Yaish, Mowaffaq Al-Din. Explanation of the detailed by Zamakhshari (Beirut: World of Books, d.T.).
13. Kadour, Dr. Ahmed Mohamed. Introduction to Arabic Philology (Damascus: Dar Al-Fikr, 1999, 2).
14. Linguist, Abu al-Tayyib Abd al-Wahed ibn Ali. substitution. Edited by: Izz al-Din al-Tanoukhi (Damascus: Academy of the Arabic Language, 1961, 1).
15. Malberg, Bertil. Phonology. tr: d. Abdel-Sabour Shaheen (Cairo: Al-Shabab Library, 1985).
16. Malik's son. Explanation of sufficient healing. Edited by: Dr. Abdel Moneim Haridi (Makkah: Dar Al-Mamoun Heritage, 1984, 1).
17. Miller, Raymond. Arabic linguistics (Beirut: Dar al-Kitab al-Lubnani, 1972, 1).
18. Ramadan Abdel Tawab. Linguistic development: its manifestations, causes and laws (Cairo: Al-Khanji Library, d.t.).
19. Sibawayh, Abu Bishr Amr bin Othman. The Book. Edited by: Abdel Salam Haroun (Beirut: World of Books, 1983,3).
20. The Book of Substitution, Abu Al-Tayyib Al-Lughi, edited by: Izz Al-Din Al-Tanukhi, Damascus, (1379 AH, 1960 AD).
21. Zaid Khalil Qarrala. Movements in the Arabic Language" (Irbid: Modern Book World, i 2004, 1).

حجاجية الصورة في غرضي الفخر والهجاء في الشعر الجاهلي

لبانه غنوم* د. منار العيسى **

الملخص

تعد الصورة من مقومات النصّ الشعري، فلا يكاد نصّ يخلو منها، ولم يكن استعمال الشاعر لها من باب التكلّف والتصنّع وإنما أدت دوراً كبيراً في الحجاج، ولا سيما في غرضي الفخر والهجاء لأنهما يقومان على محاولة إقناع الآخر والتأثير فيه، فجاءت الصورة وسيلة من وسائل الإقناع والتأثير. يحاول هذا البحث أن يقف على أهم أنواع الصورة التي نجدها حاضرة في هذين الغرضين – الفخر والهجاء– والتي كان لها من القوة الحجاجية الإقناعية الأثر البارز في سياق النص، ويحلل بعض الشواهد الشعرية التي وجد فيها مثالاً واضحاً على حجاجية الاستعارة والكناية والتشبيه، ومن ثم تحليل هذه الصور تداولياً وإظهار دورها في إقناع المتلقي والتأثير فيه.

الكلمات المفتاحية: الصورة، الحجاج، حجاجية الاستعارة، التداولية.

* طالبة ماجستير- قسم اللغة العربية- كلية الآداب والعلوم الإنسانية –جامعة البعث
**أستاذ دكتور- قسم اللغة العربية- كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة البعث

The argument of the image in the purposes of pride and satire in poetry the pre-Islamic era

Loubana Ghanoum (*) **Manar Al Issa** (**)

Abstract

The image is one of the components of the poetic text, and hardly a text is devoid of it, The poet's use of it was not aesthetically pleasing in the poetic text. The image played a great role in the arguments, especially in the purposes of pride and satire, because they are based on trying to persuade and influence the other, so the image became one of the means of persuasion and influence. This research attempts to stand at the most important types of image that we find present in these two purposes - pride and satire - which had a persuasive argumentative force, a prominent impact in the context of the text. Then analyze these images pragmatically and show their role in persuading and influencing the recipient.

Key words: Image, arguments, arguments of metaphor, pragmatics.

(*) Master degree student at Al-Baath University.
(**) Prof. Dr. in Faculty: of Arts & Humanities at Al-Baath University

- **مقدمة:**

حظيت الصورة باهتمام الدارسين قديماً وحديثاً، فتكلموا على دورها في النص من إمتاع وإقناع، وأظهرت الدراسات الحديثة للصورة في ضوء نظرية الحجاج أنها ليست محسناً لفظياً فحسب بل عُدّت مقوماً حجاجياً يؤدي وظيفة حجاجية إقناعية، وبذلك نجدها تحضر في كل الخطابات على اختلاف أنواعها وأشكالها، ويشكل الجانب الحجاجي من الصورة موضوع هذه الدراسة والذي نسعى من خلاله للبحث عن كيفية عمل الصورة حجاجياً في مجال الشعر محددين مدونة البحث في غرضي الفخر والهجاء في الشعر الجاهلي.

- **أهمية الدراسة:**

تتأتى أهمية هذه الدراسة من كونها تبحث في حجاجية الصورة وإبراز أساليبها الحجاجية في غرضي الفخر والهجاء في الشعر الجاهلي، إذ نجد الشاعر في الهجاء يحاول الحط من قيمة المهجو ونزع الصفات الحميدة عنه، وفي الفخر يفخر الشاعر بنفسه ويعلي من شأنه وشأن قبيلته، ويقوم بذلك بأسلوب حجاجي يحاول فيه إقناع الآخر مستعينا بمختلف أنواع الصورة الحجاجية. ونحن في دراستنا هذه سنقف على أهم الصور الحجاجية التي استعملها الشاعر في هذين الغرضين محاولين إبراز دورها في إقناع الآخر والتأثير فيه.

- **مشكلة البحث:**

تتجسد إشكالية البحث في سؤال عام، وهو : هل للصورة دور في حجاجية النص الشعري؟

وتندرج تحته مجموعة من التساؤلات التي سنحاول الإجابة عنها في هذا البحث:

– هل تؤدي الصورة وظيفة الإقناع والتأثير في المتلقي؟

– من أين استمد الشاعر صورته؟

– هل تختلف درجة الإقناع باختلاف نوع الصورة من استعارة وتشبيه وكناية؟ وهل ثمة نوع يعد أكثر إقناعا وتأثيرا في المتلقي؟

- **هدف الدراسة:**

إن مبتغى هذه الدراسة هو الكشف عن حجاجية الصورة في غرضي الفخر والهجاء في الشعر الجاهلي، وإظهار الدور الكبير للصورة بأنواعها من كناية وتشبيه واستعارة في إقناع المتلقي والتأثير فيه.

- **منهجية الدراسة:**

اقتضت هذه الدراسة الاعتماد على المنهج التداولي بوصفه أفضل أداة إجرائية تظهر أوجه استعمال الحجاج في الخطاب الشعري، و كونه يكشف الوظيفة الحجاجية في بنيته، وحاولت تسليط الضوء على غرضي الفخر والهجاء في الشعر الجاهلي من خلال ما توصلت إليه البلاغة الجديدة ، وذلك بدراسة تقنيات الحجاج التي وردت فيهما، واستخراج الصور الحجاجية التي وجدناها فيهما، كما تم الاستعانة بالمنهج الوصفي التحليلي لأنه الأنسب لهذا النوع من البحوث من حيث وصف الظواهر الحجاجية الكامنة في الخطاب الشعري وتحليل الشواهد وفق آليات النظرية الحجاجية.

- **هيكلية الدراسة:**

تشكلت الدراسة من مبحثين، الأول نظري، يوضح مفهوم الحجاج والصورة، والثاني: تطبيقي، يبحث في حجاجية الصورة بأنواعها التشبيه والاستعارة والكناية.

-الحجاج لغةً:

جاء في لسان العرب لابن منظور: "الحجة: البرهان، وقيل الحجة هي ما دوفع به الخصم، وقال الأزهري: الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة. وهو رجل مِحْجاج أي جدل. والتحاجُّ: التخاصم، وجمع الحجة: حجج وحجاج وحاجه محاجة وحجاجا: نازعه الحجة. وحجه يحجه حجا: غلبه على حجته. وفي الحديث: فحج آدم موسى أي غلبه بالحجة. واحتج بالشيء: اتخذه حجة"[1]

_ الحجاج اصطلاحاً:

والحجاج اصطلاحاً، كما يعرفه ديكرو: فعل لغوي موجه إلى إحداث تحويلات ذات طبيعة قانونية، أي: مجموعة من الحقوق والواجبات، وفعل الحجاج يفرض على

[1] لسان العرب- ابن منظور الإفريقي المصري- ص228.

المخاطَب نمطاً معيناً من النتائج باعتباره الاتجاه الوحيد الذي يمكن أن يسير فيه الحوار. والقيمة الحجاجية لقول ما هي نوع من الإلزام يتعلق بالطريقة التي ينبغي أن يسلكها الخطاب بخصوص تناميه واستمراره. ويتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها هو بمنزلة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمنزلة النتائج التي تستنتج منها"[2].

ويرى طه عبد الرحمن في حد الحجاج، أنه فعالية تداولية جدلية، فهو تداولي؛ لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي؛ ومقتضيات الحال من معارف مشتركة، وهو جدلي أيضاً، لأن هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة"[3]."كما يعرف الحجاج بأنه قصد أحد متحادثين بلغة مشتركة أن يؤثر في مخاطبه تأثيراً خاصاً يوجه به فعله، أو يبعث في نفسه اعتقاداً أو يميله عنه"[4].

- **مفهوم الصورة:**

فالصورة لغةً: جاء في لسان العرب: "صور: من أسماء الله تعالى، المصوّر: وهو الذي صوّر جميع الموجودات ورتّبها، فأعطى كل شيء منها صورة خاصة وهيئة مفردة يتميز بها على اختلافها وكثرتها"[5].

أما تعريف الصورة في معجم الوسيط "الصورة: الشكل، والتمثال المجسّم. وصورة المسألة أو الأمر: صفتها، والنوع يقال: هذا الأمر على ثلاث صور وصورة الشيء: ماهية المجردة وخياله في الذهن أو العقل"[6].

ومما سبق نستنتج أن الصورة في تعريفها اللغوي تعني الشكل، والصفة، والهيئة، ومن هنا كانت الصورة هي التماثل بين وصف الشيء وحقيقته.

الصورة اصطلاحاً: لقي مصطلح الصورة اهتماما كبيرا من قبل البلاغيين والنقاد القدامى والمحدثين، إذ اختلفوا في تحديد مفهوم الصورة غير أن أغلبها اتفقت على أن الصورة مرتبطة بالإبداع الشعري.

[2] اللغة والحجاج – أبو بكر العزاوي – ص16/15.
[3] في أصول الحوار وتجديد علم الكلام – طه عبد الرحمن – ص 65.
[4] الحجاج في البلاغة المعاصرة – محمد سالم محمد الأمين الطلبة- ص276.
[5] مادة (صور)_لسان العرب_ لابن منظور_ ج4_ص473.
[6] المعجم الوسيط_ص528.

ومن أبرز النقاد الذين ورد عنهم لفظ الصورة أو التصوير نذكر الجاحظ الذي تنبه إلى الصلة بين الشعر والتصوير في قوله: "والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجميّ والعربي، والقروي والبدوي، وإنمّا الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير"[7]، فالجاحظ في قوله السابق في حديثه عن موضوع الصياغة في الشعر اشترط عدّة عناصر ومن بينها الجوانب المتعلقة بالصورة، فهي جزء من الصياغة عنده، فالصورة عند الجاحظ هي شكل وليست مادة.

ولم يتجاوز قدامة بن جعفر عند طرحه مفهوم الصورة ما طرحه الجاحظ، وهذا ما يمكن أن نلحظه في قوله: "إنّ المعاني كلها معروضة للشاعر، وله أن يتكلم منها فيما أحب وآثر، من غير أن يحظر عليه معنىً يروم الكلام فيه، إذ كانت المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعة، والشعر فيه كالصورة، كما يوجد من كل صناعة من أنه لا بدّ فيها من شيء موضوع يقبل تأثير الصورة منها، مثل الخشب للنجارة والفضة للصياغة"[8].

وقد حظيت الصورة الفنية باهتمام عبد القاهر الجرجاني الذي كان من أدق من وقفوا عند طبيعتها ووظيفتها وجمالياتها، وهذا ما نلمحه في قوله: "واعلم أن قولنا: الصورة إنما هو تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا. فلما رأينا البينونة بين آحاد الأجناس تكون من جهة الصورة فكان بين إنسان من إنسان وفرس من فرس. بخصوصية تكون في صورة هذا لا تكون في صورة ذاك. وكذلك كان الأمر في المصنوعات، فكان بين خاتم من خاتم، وسوار من سوار بذلك. ثم وجدنا بين المعنى في أحد البيتين وبينه في الآخر بينونة في عقولنا، وفرقاً عبرنا عن ذلك الفرق وتلك البينونة بأن قلنا: للمعنى في هذا صورة غير صورته في ذلك. وليس العبارة عن ذلك"[9].

فعبد القاهر الجرجاني يشير إلى دور الصورة ووظيفتها في إبراز ما قد يرد في ذهن الشاعر من أفكار وتخيلات حول الأشياء التي يريد التعبير عنها شعراً، وإن نجاحه يتوقف في رسم أبعاد الصورة التي تأتي في فكره، أو يراها بعينه على مدى تمثله لها وبراعته في

[7] الحيوان_ الجاحظ _ ص444.
[8] نقد الشعر_ قدامة بن جعفر_ص23.
[9] دلائل الإعجاز _عبد القاهر الجرجاني_ ص175-176.

إخراجها بأحسن هيئة، وهذا يعني أن الصورة عند الجرجاني تمثيل وقياس تستدعيه الذاكرة من مخزون المواد التي تشكلت من خلالها خبراته، ويؤكد الجرجاني هذا المفهوم في سياق آخر، حين يقول: "ومعلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة، وأن سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه كالفضة والذهب، يصاغ منها خاتم أو سوار"[10]. والملاحظ أنه لا يوجد تباين كبير في نظرته للصورة، ونظرة الجاحظ وقدامة بن جعفر لها، ولكننا نلاحظ أنه لم يباعد بين معنى العمل الأدبي وشكله، فهما متحدان في الصورة الفنية.

يعرف محمد غنيمي هلال الصورة من وجهة نفسيّة، إذ يقول: "الصّورة تجربة نفسيّة يعيشها المرء، وتكشف عن باطنه الخبيء"[11]. فالناقد محمد غنيمي يتحدث عن الجانب النفسي المؤثر في إنتاج الصورة وهي تعبير عن ما يكنه في داخله.

ويعرفها علي البطل بقوله: "الصورة تشكيل لغوي يكونها خيال الفنان من معطيات متعددة، يقف العالم المحسوس في مقدمتها، فاغلب الصور مستمدة من الحواس، إلى جانب مالا يمكن إغفاله من الصور النفسية والعقلية وإن كانت لا تأتي بكثرة الصور الحسية، أو يقدمها الشاعر أحياناً كثيرة في صور حسية"[12].فالصورة عنده ناتجة من خيال الفنان، وهي مستمدة من عالم المحسوسات.

ويعرفها د. أحمد علي دهمان بقوله: "إنّ الصورة هي تعبير عن نفسية الشاعر ووعاء لإحساسه وفكره، تعين على كشف معنى أعمق من المعنى الظاهري إذ تقدم عقدة فكرته وعاطفية في برهة من الزمن وتوحّد بين الأفكار المتفاوتة"[13].

ويذهب عبد القادر القط إلى أن الصورة الشعرية: "هي الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بيانيّ خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة، مستخدماً طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتركيب والإيقاع والحقيقة والمجاز والترادف والتضاد، والمقابلة والتجانس وغيرها من

[10] المصدر السابق نفسه_ ص175-176
[11] النقد الأدبي الحديث_ محمد غنيمي هلال_ص403.
[12] الصورة في الشعر العربي_ علي البطل_ص30.
[13] الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني_ أحمد علي دهمان_ ج1_ ص299

وسائل التعبير الفني"[14].ونلاحظ أن الصورة عند عبد القادر القط جمعت الجانب الموسيقي واللفظي والبلاغي والدلالي، فكان هذا التعريف جامعا لما تتكون منه القصيدة. ومن تعريفات الصورة أيضاً تعريف حسن طبل الذي يقول فيه: "هي التعبير باللغة المحسوسة عن المعاني والخواطر والأحاسيس، فاللغة التصويرية أو لنقل اللغة الفنية ليست سرداً تقريرياً للحقائق، أو بثاً مباشراً للأفكار، ولكنها تجسيد وتمثيل لتلك الأفكار والحقائق في صورة محسوسة يعاينها المتلقي، ويدركها إدراكاً حسياً، فيكون لها _من ثم_ فعاليتها في نفسه، وعميق أثرها في وجدانه"[15].

ومن خلال ما تقدم من تعريفات للصورة، نرى أن الصورة ترتكز على محاور رئيسة هي القصيدة والشاعر والمتلقي، وتتكون مما يصوغه الشاعر بعبارات دالة موحية، نابعة من عاطفة جياشة، وخيال واسع ليترك أثراً في المتلقي، بتقديم قيمة فنية تعجز الكلمة المعجمية المجردة عن إيضاحها وإيصالها للمتلقي.

حجاجية الاستعارة في غرضي الفخر والهجاء في الشعر الجاهلي:

في مجال دراستنا هذه نسعى للكشف عن الاستعارة الحجاجية وكيفية استغلالها في هذين الغرضين _الفخر والهجاء_ وبالنظر إلى كثرة الأشعار التي تناولت هذين الغرضين، وقيام الشعر العربي في مجمله على الصورة الشعرية، والاستعارة واحدة منها، ارتأينا أن نركز على بعض الاستعارات الواردة لدى أبرز شعراء هذين الغرضين.

تعد الاستعارة الحجاجية آلية لغوية يوظفها المخاطِب لتوجيه رسالته إلى المتلقي، وتحقيق غاياته الحجاجية. وهي الأكثر تدولا لتعلقها بمقصدية المتكلم وسياقاته التخاطبية، ونجد هذا النوع من الاستعارة في قول أوس بن حجر[16]:

وإني امرؤٌ أعددتُ للحرب بعدما رأيت لها ناباً من الشرِّ أعْصَلا

فالشاعر يظهر بطولته واستعداده للحرب في هذا البيت، ويظهر حال الحرب المرعبة، مستعيناً بحجة تقوم على الاستعارة من خلال وصف الحرب بحيوان مفترس له ناب على سبيل الاستعارة المكنية، إذ حذف المشبه به الحيوان وأبقى شيء من دلالته (ناب).

[14] الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر_ عبد القادر القط_ص391.
[15] الصورة البيانية في الموروث البلاغي_ حسن طبل_ ص15.
[16] ديوان أوس بن حجر- ص83.

وهذه الاستعارة لها قوة حجاجية عالية، فالشاعر يعلم الشر الذي ينجم عن الحرب، ولذلك يستعد لها تمام الاستعداد. وإذا قارنا القول المجازي بالقول العادي حصلنا على الآتي:

أ. الحرب مدمرة لا تبقي ولا تذر.

ب . الحيوان المفترس حيوان يلتهم كل شيء أمامه

. الحرب حيوان مفترس تلتهم وتدمر كل شيء.

ونجد الاستعارة الحجاجية في فخر عنترة فيقول مخاطبا ابنة عمه عبلة[17]:

هلَّا سألتِ الخيل يابنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلمي

يخبرك من شهد الوقائع أنني أغشى الوغى وأعفُّ عند المغنم

الاستعارة (سألت الخيل) الشاعر يجعل الخيل إنسانا يُسأل، والبيت الثاني يقدم غاية الخطاب الحجاجي أي ما يريد الشاعر البرهنة عليه، إنه يحاول إقناع محبوبته باتصافه بالشجاعة والعفة فهو لا يخوض غمار الحرب من أجل الغنائم، وإنما في سبيل هدف نبيل وهو الدفاع عن قبيلته وحمايتها، وقد استعان بالاستعارة إذ يجعل الخيل إنسان يخبر ويتحدث عن بطولات الشاعر في المعارك، ولعل ذلك غاية الحجاج لما له من قوة إقناعية، فالخيل شاهدة على بطولاته وقوته، وذلك لما يظهر عليها من آثار الحرب من تخضب لونها، والجروح التي تصيبها.

ومثال الاستعارة الحجاجية أيضا نراه في قول دريد بن الصمة[18]:

غداً يرون رجالاً من فوارسنا إن قاتلوا الموت ما كانوا على حذرِ

خلقتُ للحرب أُحْمِيها إذا بردت وأجتني من جناها يانع الثّمرِ

فالشاعر في سياق فخره بشجاعة قومه وتفوقهم على الفرس، يستعين بالاستعارة الحجاجية لما لها من دور في إقناع المتلقي بما يقوله، فيجعل الموت إنساناً يُقاتل، ويصارع، ففرسان قومه يقاتلون الموت ولا يخافونه، إذ يجعل الموت أضعف منهم. ويعزز قوله باستعارة حجاجية في البيت الذي يليه إذ يشبه الحرب بالشجرة المثمرة التي يجني منها الثمار الناضجة، فالشاعر يسعى لإقناع خصمه بنتيجة وهي قوة قبيلته وعدم مبالاتها بالموت، وخوضها غمار الحرب بشجاعة، ولحمله على الاقتناع بذلك يوظف الاستعارة

[17] شرح ديوان عنترة بن شداد ـ ص171-172.

[18] ديوان دريد بن الصمة ـ ص98-99.

الحجاجية القائمة على تشبيه الحرب بالشجرة المثمرة، ويجعل اندفاعهم للحرب وإقبالهم عليها وعدم مهابة الموت ليس سوى سعي منهم إلى بلوغ النصر وتحقيق العزة والكرامة. وتظهر حجاجية الاستعارة من خلال ما يأتي:

أ =الحرب فيها غنائم كثيرة يجب كسبها.

ب =الشجرة المثمرة فيها ما لذّ وطاب من الثمار

ن =الحرب شجرة مثمرة نحصل من خلالها على الشيء النفيس.

ويتابع الشاعر حجته في الأبيات الآتية:

ويبتلى برجال في الحروب لهم بأسٌ شديدٌ وفيهم عَزْمُ مُقْتَدِرِ

الموتُ حلوٌ لما لاقت شمائلهم وعند غيرهم كالحنظل الكدرِ

فالشاعر يتابع حجته مستعملا الاستعارة، فقومه شجعان في الحرب يبلون بلاءً حسناً ولا يخافون الموت، ومن أجل الإقناع بذلك يشبه الموت بالطعام الذي مذاقه حلو على سبيل الاستعارة المكنية، فيجعل الموت حلواً لا يخيف من يتمتع بالأخلاق والصفات الحميدة، بينما الموت عند غير قومه من الأشخاص السيئين مرّ كنبات الحنظل، ومن خلال هذه الاستعارة يريد الشاعر الوصول إلى نتيجة أن الإنسان لا يخاف الموت ويصبح الموت لديه هيناً سهلاً إذا كانت أعماله حميدة خيرة لا سوء فيها، بعكس الإنسان السيء الذي يبقى خائفاً من الموت ويترقبه فهو يعلم ما سينال من عقاب جزاء أفعاله السيئة.

وفي قول عمرو بن كلثوم نجد استعارة حجاجية يبرز من خلالها فخره بقومه وشجاعتهم[19]:

وقد هرَّت كلاب الحيّ منّا وشذّبْنا قتادة من يلينا

متى ننقل إلى قوم رحانا يكونوا في اللقاء لها طحينا

يكون ثفالها شرقي نجد ولهوتها قضاعة أجمعينا

يبني الشاعر أبياته السابقة على استعارة حجاجية، ليقنع المتلقي بشدة الحرب التي خاضها مع قومه، وليبرز شجاعتهم فيها، إذ إنه وقومه عندما يلبسون الأسلحة تنكرهم الكلاب ولا يكاد يخرج صوتها لتهر، ومن أجل الوصول إلى قمة الإقناع يشبه الأعداء وهزيمتهم بالقتادة، فهم يكسرون شوكة من يقترب منهم من الأعداء، إذ يشبه الأعداء

[19] ديوان عمرو بن كلثوم - ص 72

بالقتادة وهي شجر ذو شوك، وهم بشجاعتهم ينفون الشوك والأغصان الزائدة عن الشجر، وفي البيت التالي يشبه الحرب بالرحى، والقتلى بالطحين، وهي صورة مستوحاة من واقعه، وتنقل هذه الاستعارة إلى ذهن المتلقي شدة تلك المعركة إذ أنهم يقتلون كل ما يظهر أمامهم ويبالغون في القتل، وفي البيت الثالث يتابع تصويره فيشبه المعركة بالثقال وهو جلدة تبسط تحت الرحى ليقع عليها الدقيق، ويستعير للقتلى اسم اللهوة وهي القبضة من الحَبّ تُلقى في فم الرحى وذلك ليشاكل كل الرحى والطحين، ونرى مما سبق أن القول الاستعاري له قوة حجاجية عالية بحيث يكون السلم الحجاجي للبيت الثاني على النحو الآتي:

أ_ الحرب تؤدي إلى قتل الأعداء وإبادتهم.

ب_ الحرب رحى تطحن القتلى.

ن_ صلابة قوم الشاعر وقوتهم في الحرب.

ويكون السلم الحجاجي للبيت الثالث على النحو الآتي:
المعركة وكثرة القتلى فيها.

ب- المعركة ثقال الرحى والقتلى لهوتها.

ن- قوة قوم الشاعر وشدتهم في الحرب.

وفي فخر طرفة بن العبد نجد الاستعارة الحجاجية في قوله[20]:

وتشكّى النّفسُ ما صابَ بها فاصبري إنّك من قومٍ صبرْ

إن نصادف منفساً لا تلقنا فرح الخير، ولا نكبو لضرْ

أسد غاب، فإذا ما فزعوا غير أنكاسٍ ولا هوج، هذرْ

فالشاعر يمتلك نفسا أبية لا تهاب شيئاً، ويحتج لذلك من خلال استعماله الاستعارة المكنية، إذ يشخص النفس ويجعلها إنساناً يشكو ما نزل بها وما أصابها، والشاعر يخاطبها ويطلب منها أن تصبر وتتحمل فهي من قوم عُرِفوا بالصبر والتحمل مهما أصابهم من خير أو شر لا يكترثون لذلك لعلمهم أن الأحوال تتعاقب من خير وشر،

[20] ديوان طرفة بن العبد _ ص70.

ويعزز حجته أيضا باستعماله الاستعارة التصريحية في البيت الثالث، فهم أسياد القبائل إذ يشبه قومه بأسد الغاب لما يتصفون به من جرأة وشجاعة، فإذا قاموا بإغاثة أحد أو خاضوا حربا لم يكونوا ضعفاء ولا حمقى وليسوا بالذين يكثرون الكلام، فالحرب لا تستخفهم ولا يكثر فيها لغطهم لأن ذلك علامة الفشل والجبن. فاعتمد الشاعر في البيت الثالث حجة تمثلت في الاستعارة التي إن قارناها بالقول الحقيقي انتهينا إلى الآتي:

- قوم الشاعر قوم شجعان وهم سادة القبائل.

- قوم الشاعر أسد غاب لا يهابون شيء.

يظهر لنا أن القول الاستعاري أعلى حجاجيا من القول العادي.

ومن الاستعارات الحجاجية في غرض الهجاء قول الحطيئة في هجائه لبني بجاد إذ يقول[21]:

تدرون إن شد العصاب عليكم ونأبى إذا شد العصاب فما ندر

نعام إذا ما صيح في حجراتكم وأنتم إذا لم تسمعوا صارخا دثر

فاستعارة الحطيئة استعارة حجاجية يصف فيها بني بجاد بالنعام، فهو يهزأ بهم ويجعلهم في مرتبة متدنية، وفي سبيل الإقناع بذلك يستعير لهم صفات النعام، ورجح السمات التي توضح هذا التشبيه، فغاية الخطاب الحجاجي التقليل من شأن المهجو وإظهار ضعفه وجبنه في المعركة، فبنو بجاد أشبهوا النعامة عند الخوف والفزع إذ ينفرون ويشردون، وفي حال الأمن يتصفون بالكسل ولا ينهضون إلى خير، فاستعان الشاعر بالاستعارة لدعم حجته وتأكيد هذه الصفات، والتي إن قارناها بالقول الحقيقي انتهينا إلى الآتي:

- بنو بجاد كالنعامة في حمقها وكسلها.

- بنو بجاد قوم ضعفاء.

ويبدو لنا أن القول الاستعاري أعلى حجاجيا من القول العادي.

ومن الاستعارات الحجاجية أيضاً قول الشنفرى يهجو هذيل[22]:

[21] ديوان الحطيئة - ص305.

صليت مني هذيل بخرقٍ لا يملّ الشر حتى يملوا

يورد الصعدة حتى إذا ما نهلت كان لها منه علّ

ضحك الضبع لقتلى هذيل وترى الذئب لها يستهلّ

فالشاعر في سبيل سخريته من قبيلة هذيل، ولإظهار ضعفهم يستعين بالاستعارة الحجاجية (ضحك الضبع) إذ جعل من الضبع إنسانا يسخر من هذيل ويضحك لكثرة القتلى فيها، وغايته من هذه الاستعارة إظهار القوة التي يتمتع بها وتفرده وفي المقابل إظهار ضعف خصمه، وعجزه عن مواجهته.

ومن الاستعارات الحجاجية في الهجاء قول بشر بن عمرو بن مرثد[23]:

قُلْ لابنِ كلثوم السّاعي بذمّتهِ أبْشرْ بحربٍ تُغِصُّ الشّيخَ بالرّيقِ

وصاحبيهِ فلا ينعمُ صباحُهُما إذ فُرَّتْ الحربُ عن أنيابها الرُّوقِ

فالشاعر يرد على عمرو بن كلثوم ويتوعده بحرب شديدة ، ويخوفه من هول تلك الحرب، فهي لشدتها تجعل الشيخ الكبير العالم بالحرب المجرب لها يغص بريقه فكيف بعمرو الشاب الذي لم يعرف من أمور الحرب الكثير، وفي سبيل تخويفه من الحرب يستعين بالاستعارة الحجاجية في البيت الثاني (فرت الحرب عن أنيابها)إذ يشبه الحرب بالدابة التي تكشف عن أسنانها الطويلة، وأي صورة هذه التي يمكن تصورها الحرب دابة بأنياب حادة إنه لمشهد تقشعر له الأبدان ،مشهد جدير بدب الخوف والرعب في النفوس بما يثير في القلب من فزع. وهذه غاية الشاعر من صورته ترهيب الآخر وتخويفه، وردعه عن مواجهته في الحرب.

- **حجاجية التشبيه في غرضي الفخر والهجاء:**

يعّد التشبيه من الآليات الحجاجية القوية، لما له من دور في توضيح الفكرة وتقوية المعنى.

وقد أكثر الشعراء من استعمال التشبيه لقدرته على التأثير في المتلقي وإقناعه بالقضية التي يحتج لها، ويحثه على القبول بمقاصد المتكلم على اختلاف المقامات الكلامية، والأغراض القصدية، والحجة الناجمة عن التشبيه تظهر فعاليتها الحجاجية في أنها تمثّل

[22] شرح شعر الشنفرى الأزدي – ص128.

[23] المفضليات- ص274.

درجة أعلى في الإقناع من درجة المعنى الحقيقي الذي جاءت تسدّ مسدّه لكن" كفاءته في التأثير أدنى من الاستعارة غالباً"[24]، إذ إن الاستعارة مركز الحجاج.

والتشبيه يعد حجة شعرية أساسية للوصول إلى البرهنة والحجاج، لأنه أقرب الحجج إلى الشعر لقيامه على "التخييل" وترجع استدلاليته في أنه يعمل على تشكيل بنية واقعية، تسمح بإيجاد أو إثبات حقيقة عن طريق تشابه في العلاقات، وتكمن قيمته الحجاجية في عدم قابليته للدحضّ بسهولة، فقد أكد الدارسون أنه يعسر على المرء أن يتصور إمكان ورود دليل مضاد بعد تشبيه أو استعارة يخدم النتيجة المحاكة، أما الأقوال العادية الحقيقية فيمكن بيسر إحلالها في سياقات الإبطال أو التعارض الحجاجي[25].

وإيضاحاً لما سبق نذكر بعض الأمثلة الشعرية التي توضح حجاجية التشبيه، كقول عنترة بن شداد العبسي[26]:

أَثْني عليَّ بما علمْتِ فإنني سمحٌ مخالقتي إذا لم أظلمِ

وإذا ظُلِمْتُ فإنّ ظلمي باسلٌ مُرٌّ مذاقتهُ كطعم العلقمِ

فالأبيات جاءت في سياق فخر واعتزاز بالنفس، وتأكيد للذات وما تتصف به من صفات، اعتمد الشاعر فيها حجة تقوم على التشبيه إذ شبه ظلمه بالعلقم؛ فالشاعر لا يقبل الظلم والإهانة من أحد، وفي حال تعرض للظلم، فإن ردّه مرّ بمرارة الحنظل، وهذا التشبيه يحمل بعداً حجاجياً قصده الشاعر، فعنترة يعبر من خلال التشبيه عن حال نفسية مضطربة بسبب الظلم الذي يتعرض له، فهو على الرغم من فروسيته وبطولته بقي قومه يعاملونه معاملة العبد لسواد بشرته، ورفضوا منحه حريته. فهو هنا بلفظ الظلم يشير بطريقة غير مباشرة إلى الظلم الذي يتعرض له من قومه، ويخبر عن عاقبة هذا الظلم، وما أوحى بذلك تكراره لكلمة(الظلم)، إذ إنّه لشجاعته ولمّا يتصف به من خصال فاضلة يستحق أن يعامل معاملة الفارس الحرّ، فهو تفوق على الفرسان بقوته في المعارك والزود عن قومه، فالتشبيه زاد المعنى وضوحاً وقربه من ذهن المتلقي إدراكاً واستيعاباً، فكان

[24] بلاغة الخطاب وعلم النص ـ صلاح فضل ـ ص146.

[25] في حجاج النص الشعري ـ عبد الباسط عيد ـ ص74.

[26] شرح ديوان عنترة ـ ص167.

بذلك أكثر تأثيراً عليه من استعمال المعنى الصريح، إذ جعل المتلقي يشعر بشعور ذلك الشاعر الذي يتجرع الظلم ويقاسي مرارته.

ومن التشبيهات الحجاجية أيضاً قول عمرو بن كلثوم في معلقته[27]:

كأنّ جماجم الأبطال فيها وسوقٌ بالأماعز يرتمينا

كأنّ سيوفنا منّا ومنهم مخاريق بأيدي لاعبينا

فالشاعر في البيت الأول يشبه جماجم الأبطال بحمل بعير ترتمي في أماكن كثيرة الحجارة، ففي هذا التشبيه يُظهر الشاعر مدى عنف الحرب وشدتها من طعن قوم الشاعر للعدو، ومدى إهلاكهم لأعداد هائلة منهم، كما أنه في البيت الثاني يشبه السيوف بالمخاريق(السيف الخشبي) بأيدي صبيان يلعبون بها، وفي هذا التشبيه يظهر قوتهم وسرعتهم ويُسر رميهم، فالشاعر بهذا التشبيه يبالغ في أداء المعنى، فهو يصور الحرب تصويراً تشخيصياً، وكأنها ماثلة أمام المتلقي، وذلك يجعل المتلقي يقتنع بما يقدمه الشاعر من تصوير لقوتهم وشجاعتهم في المعركة، والملاحظ أن هذه التشبيهات هي تعبير عن الحال النفسية والوجدانية للشاعر، فنلاحظ براعة ربطه بين المشبه والمشبه به، واختياره كلمات وعبارات من المجتمع الذي يعيشه، مما جعل هذه التشبيهات قريبة من ذهن المتلقي، واستطاعت التأثير فيه وإقناعه، فجاءت الصورة تعبيراً عن انفعالات الشاعر وأفكاره، فعبّرت عن مشاعر الفخر والفرح بذلك الانتصار الذي حققته تغلب قوم الشاعر على أعدائها، وبالتالي أسهمت في نقل تلك المشاعر إلى المتلقي وجعلته يتفاعل مع الشاعر والموقف الذي هو فيه.

ومن خلال تصفحنا لبعض القصائد الشعرية نلحظ أن التشبيه الأكثر إقناعاً، ويكثر الشعراء من استعماله في حجاجهم هو التشبيه التمثيلي . وهو آلية من آليات الحجاج التي يلجأ إليها المتكلم في خطابه، وذلك من خلال" عقد الصلة بين صورتين ليتمكن من الاحتجاج وبيان حججه"[28]، وهنا يتقاطع القياس مع التشبيه في العناصر، ويظهر هذا في كون القياس" إظهار لوجود الشبه بين الشيئين"[29]، وتعلو قيمة التمثيل على مفهوم

[27] ديوان عمرو بن كلثوم ـ ص74-76. وسوق: جمع وسق وهو حمل البعير. الأماعز: جمع الأمعز وهو المكان الذي تكثر حجارته ـ المخراق: سيف من الخشب.

[28] استراتيجيات الخطاب ـص497.

[29] في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ـ طه عبد الرحمن ـ ص99.

المشابهة المستهلك، "حيث لا يرتبط التمثيل بعلاقة المشابهة دائماً وإنما يرتبط بتشابه العلاقة بين أشياء ما كان لها أن تكون مترابطة أبداً، ومن ثُم عُدَّ عاملاً أساسياً في الحجاج فهو ينطلق من التجربة بهدف إفهام فكرة، أو العمل على أن تكون الفكرة مقبولة، وذلك بنقلها من مجال إلى مجال مغاير، جرياً على مبدأ الاستعارة"[30]. ومن خصائصه[31]:

١. يرتكز التمثيل على استدعاء صور تحكي أحداثاً من أجل نقل أفكار مرجعية ذات قيمة رمزية.

٢. تقوم العلاقة فيه على مماثلة تتحقق بين عناصره أو بنيات تنتمي إلى مجالات مختلفة.

٣. يتجه نحو مخيلة الإبداع ، ويتجاوز اللغة، وحدود الواقع، ويفهم عن طريق تحريك الذهن، مما يتطلب معالجة دينامية وإبداعية.

٤. إن الأساس في التمثيل يكمن في العلاقة بين الموضوع والحامل(وجه الشبه) وتوتر العلاقة بينهما.

وبما أنّ الخطاب الشعري لا يخلو من جملة من الأفكار والمبادئ والآراء التي يحاول الشاعر إقناع المتلقي بها، فلا بدّ له أن يلجأ في محاولاته الإقناعية تلك إلى استعمال جميع الطرق، والوسائل، والآليات الحجاجية التي تمكنه من تحقيق هدفه، والتي من ضمنها حجة التمثيل.

ومن صور التشبيه التمثيلي نجد قول بشر بن أبي خازم في سياق فخره الجمعي[32]:

فإن أهلك عمير فرب زحف يشبه نقعه عدواً ضبابا

سَمَوتُ لهُ لألبسَهُ بزحفٍ كما لفّت شآمية سحابا

فهنا يمزج الشاعر بين فخره بنفسه وفخره بقبيلته، فبشر يحتج لقوتهم في المعركة ، ويصف الطريقة التي يهجم بها على عدوه من خلال الاستعانة بالتشبيه، فالغبار المثار في المعركة كأنه الضباب:

---

[30] عندما نتواصل نغير- عبد السلام عشير - ص97.

[31] المرجع السابق نفسه - ص98.

[32] ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي - ص27-28. الزحف: الجماعة يزحفون إلى العدو بمرة، النقع: الغبار الذي تثيره الخيل في ركضها، شآمية: ريح شآمية، سموت: نهضت وارتفعت له.

المشبه ← المشبه به

غبار المعركة ← الضباب

هذه المعركة بهذه القوة والعنف، وتثير ذلك الضباب الكثيف لم تكن لتهز مشاعره أو تلقي الرعب في نفسه، واستعمال الفعل (سموت) يظهر مدى التعالي والعز الذي يشعر به الشاعر وهو يخوض تلك المعارك التي تثير الرهبة لمجرد وصفها.

أما التشبيه التمثيلي الذي يقدم صورة حيّة يلتف فيها جيش بني أسد حول جيش الأعداء، ويتحكم بهم على هواه، وكأنهم ريح شمالية شديدة تتلاعب بالسحاب فتدور به حيث شاءت، فقدرة جيش بني أسد جعلت من الأعداء وكأنهم لعبة يتسلى بها الأطفال.

المشبه ←المشبه به

جيش بني أسد ← الريح الشمالية

الأعداء ← السحاب

فالشاعر يحاول إبراز مهاراتهم في القتال وإدارة المعارك لصالحهم من خلال تشبيه نهوضهم في المعركة وتقدمهم على أعدائهم برياح الشمال التي تتلاعب بالسحاب فتأخذه حيث تشاء، وحال الشاعر وقومه مع أعدائهم مماثل لذلك؛ إذ أنهم هم المسيطرون على المعركة، يديرون أعدائهم كيفما يشاؤون، وكأنهم لعبة بين أيديهم.

ونجد التمثيل حجاجياً حيث صوّر لنا علاقة التشابه التمثيلية التي تجمع بين تلاعب الشاعر وقومه بأعدائهم في المعركة وتلاعب رياح الشمال بالسحاب، فمن خلال هذا التشبيه يحاول الشاعر إقناع المتلقي بقدراتهم القتالية، وحكمتهم في أرض المعركة، وربّما يرغب في إثارة الخوف والرهبة في قلوب من يحاول معارضته هو وقومه.

والحجة ذاتها اعتمدها الحارث بن حلزة في قوله من معلقته[33]:

فرددناهم بطعنٍ كما يخـ رج من خُرْبَةِ المزاد الماءُ

وحملناهم على حَزْمِ ثهلا ن شِلالاً ودُمّيَ الأنساء

وجبهناهم بطعنٍ كما تُنْـ هز في جُمّةِ الطّويّ الدّلاءُ

فالشاعر يريد أن يقدم الأدلة التي تثبت المكانة الرفيعة التي يحظى بها هو وقومه عند الملك عمرو بن هند، فيذكر في سياق أبياته البطولات التي أظهروها في سبيل الدفاع عن

[33] ديوان الحارث بن حلزة ـ ص33. المزاد: جمع مزادة وهي زق الماء خاصة.

الملك، فيرسم صورة تظهر بأسهم وشدتهم في تلك المعارك الطاحنة التي خاضوها، مستعيناً بالتشبيه التمثيلي لتأكيد حجته.

فنحن أمام تشبيه صورة بصورة، إذ يشبه خروج الدماء من الجراح جراء الطعن بخروج الماء من أفواه القرب وثقوبها، ولعّله أراد بذلك أن يبين الطعن الشديد الذي ألحقوه بعدوهم، وغزارة الدماء التي سالت في المعركة.

ويقدم حجة أخرى في بيت آخر يليه يؤكد فيه الطعن الذي لحق بالأعداء، ويشبه الطعن وتحرك الرماح في أجسامهم كما تتحرك الدلاء في ماء البئر، والملاحظ أن الصور التي اعتمدها الشاعر في حجته تنتمي إلى بيئة المتلقي، وهي صور مألوفة لدى المتلقي، وهذا ما يسهم في إقناعه والتأثير فيه، فهي صور واضحة يراها دائما في حياته المعاشة، لأن المتلقي يقتنع أكثر بالصورة المرئية الواقعية التي لا تحمل معها أي موضع للشك.

وفي مقابل فخر الحارث بن حلزة نجد فخر عمرو بن كلثوم الذي يفخر بقومه معتمداً التمثيل في ذلك إذ يقول[34]:

كأنّا والسّيوف مسلَّلاتٌ ولدنا النَّاس طراً أجمعينا

يدهدهون الرؤوس كما تدهدي حزاورة بأبطحها الكرينا

فالشاعر يحاول الاحتجاج لولائه ولوفائه لمن معه في المعركة، فهم في وقت اشتداد الحرب والسيوف مسلولة من أغمادها يدافعون عن الناس ويحمونهم كما يحمون أولادهم، كأنهم ولدوا الناس جميعا، فأقام هذا التشبيه مقام حجة يبرهن بها على مدى إخلاصهم ووفائهم، فرغم قوتهم وشدتهم في المعركة، إلا أنهم لا ينسون حماية حلفائهم كحماية الأب لابنه، وهذه مبالغة في المعنى تفيد الإقرار والتأكيد لتكون عند المتلقي حقيقة لا ريب فيها.

وفي البيت الثاني يصف شدة قومه في الحروب معتمدا التشبيه التمثيلي إذ يشبه دحرجتهم لرؤوس أعدائهم في الحرب كدحرجة الغلمان الشداد الغلاظ للكرات في منخفض الأرض، فشبه رؤوس فرسان العدو بالكرات التي يلعب بها هؤلاء الغلمان ويدحرجونها، للدلالة على قوة وشدة عنف قومه بخصومهم، فالشاعر يحاول إبراز مهاراتهم في القتال والاستهزاء بالخصم، والذي أسهم في خدمة هذا المعنى وتأكيده استعماله الفعل(يدهدهون) لما فيه من خفة، مما جعل المعنى أكثر بلاغة وأغنى دلالة، وهي الصورة. أيضا كناية

[34] ديوان عمرو بن كلثوم - ص88.

توحي بفتك قوم الشاعر وشدة بطشهم، والتخييل أبلغ من الحقيقة لذا كان وسيلة الشاعر وأداته للوصول إلى إقناع المتلقي.

الملاحظ في هذه التشبيهات أنها تشبيهات واضحة وبسيطة، كما أن المشبه به استمد من الأشياء المادية الموجودة في الطبيعة مما يؤدي إلى عدم تكلف المتلقي عناء كبيراً في فهمها وتأويلها.

ومن التشبيهات الحجاجية في غرض الهجاء قول طرفة بن العبد، يصوّر أخلاق خصمه من وشاية ونميمة فقال[35]:

وفرّق عن بيتيك سعد بنُ مالكٍ وعَمراً وعَوْفاً ما تشي وتَقولُ

وأنتَ على الأدنى شمالٌ عَرِيةٌ شآميةٌ تزوي الوجوهَ بليلُ

فالشاعر في احتجاجه لسوء أخلاق خصمه يستعين بالتشبيه الحجاجي(أنت على الأدنى شمالٌ عرية شآمية تزوي الوجوه)، فهذا الخصم من خلال الأقوال والنمائم التي يقولها فرق بين بيتي أهله وذويه، وأوقع الشر بينهم، وهو بأفعاله هذا أشبه الريح الشمالية الباردة التي تحرق الوجوه في الشتاء، ويصحبها بلل من المطر وندى يقبض الجلد ويجفف المفصل والوجه، فخصمه والريح لاخير بهما لما يحملا من ضرر، ولعل غاية الشاعر من هذا التشبيه إظهار سوء الشخص الذي يحمل هذه الصفات ويدعو من خلال تشبيهه إلى العدول عن هذا السلوك، وإلا تحول لشخص سيء يضرّ من حوله لانفع منه ولا فائدة.

ومن التشبيهات الحجاجية أيضا قول الأعشى يهجو قيس بن مسعود بن خالد الشيباني[36]:

تركْتَهُمُ جَهْلاً وكُنْتَ عَمِيدَهُمْ فلا يُبْلُغَنِّي عَنكَ ما أنْتَ فاعِلُ

وَعُرِّيتَ مِنْ وَفْرٍ وَمَالٍ جَمَعْتَهُ كما عُرِّيَتْ ممّا تُمِرُّ المغازلُ

فالشاعر يستنكر جهل المهجو الذي ترك قومه وصاحب عدوهم كسرى في غزوه لقومه، فكيف لرجل كان سيداً في قومه أن يتخلى عنهم، ويستعين الشاعر بالتشبيه الحجاجي ليصور الحال التي وصل إليها المهجو بعد قيامه بخيانة قومه، إذ جُرِد من ماله وثروته التي جمعها، فأشبه بذلك المغزل الذي ليس له مما يغزل شيء، ولا يتراكم عليه الغزل إلا ليجرد منه من جديد، وقد يكون قصد الشاعر من تشبيهه هذا تصوير الحال التي يصل

[35] ديوان الحماسة- أبو تمام – ص857.

[36] ديوان الأعشى – ص185.

إليها الشخص إذا تخلى عن قومه وقبيلته، حيث يجرد من كل ما يملك، ولعل ما زاد التشبيه إقناعاً استعمال الشاعر للفعل(عريت) إذ تدل على المبالغة في التعرية والسلب حيث لا يبقى للشخص شيء.

ومن التشبيهات الحجاجية في غرض الهجاء أيضاً قول عامر بن الطفيل يهجو أعداءهم[37]:

وعبدُ القيْسِ بالمَرْداءِ لاقَتْ صباحاً مثلَ ما لَقِيَتْ ثَمُودُ
صبحْناهم بكلِّ أقبَّ نهْدٍ ومُطَّردٍ له يقِدُ الحديدُ
لَقِينَا جَمْعَهُمْ صُبْحاً فكانُوا كَمِثْلِ الضَّأنِ عاداهنّ سِيدُ

فالشاعر يسخر ويهزأ في أبياته من جبن عبد قيس، ويصور هزيمتهم في المعركة، إذ إن خوفهم وجبنهم من مواجهة الشاعر وقبيلته جعلهم ينفروا ويتشردوا، ويستعين في تصوير ضعفهم بالتشبيه الحجاجي(كمثل الضأن عاداهن سيد)، إذ حالهم في وقت المعركة يشبه الغنم التي عاث فيها الذئب، وقصد الشاعر من هذا التشبيه إظهار قوة قومه وشجاعتهم في المعركة، وتصوير الحال التي يصل إليها أعداؤهم من جبن وخوف وتفرقة.

حجاجية الكناية في غرضي الفخر والهجاء:

تعد الكناية من الأساليب الحجاجية التي يوظفها المحاجج للاحتجاج لقضية ما، ويتأتى دورها في الحجاج من كونها بمنزلة الدليل الذي يلجأ إليه المتكلم لإثبات معانيه وإقناع متلقيه.

وتكمن حجاجية الكناية من كونها لا يمكن الاكتفاء فيها بالمعنى المصرح به، بل توجه المتلقي نحو استنتاج المعنى المكنى عنه، وبالتالي لا يمكنه أن يعترض عليه، ولا يسعى لتخطئة تصوره، وهذا يؤدي إلى اقتناعه لكونها أعطته الحقيقة مصحوبة بدليلها.

ومن أمثلة الكناية الحجاجية في شعرنا العربي القديم قول عنترة[38]:

سلي سيفي ورمحي عن قتالي هما في الحرب كانا لي رفاقا
سقيتهما دماً لو كان يسقى به جبلا تهامة ما أفاقا
وكم من سيد خلَّيت مُلْقىً يُحزّك في الدّما قَدَماً وساقا

[37] ديوان عامر بن الطفيل- ص85-86.أقب: فرس ضامر، النّهد: الضخم المُشْرِف، المطرد: الرمح يطرد في اهتزازه.
[38] ديوان عنترة - ص141.

فالشاعر في سياق أبياته يفخر بشجاعته، ويطلب من محبوبته أن تسأل سيفه ورمحه عن شجاعته وقتاله في الحرب، ولإقناع المتلقي بذلك يستعمل الكناية الحجاجية(سقيتهما دماً) كناية عن أنهما_ سيفه ورمحه_ ضربا وطعنا كثيراً حتى أشبعا دما.

فهو في البيت الأول يشخصهما ويجعلهما إنساناً يُسأل مستعملاً الاستعارة الحجاجية، فهما أداتا الشاعر في حربه وقتاله وهما الشاهدان على بطولاته وقدراته القتالية، لملازمتهما له في معاركه، وينتقل في البيت الثاني إلى استعمال الكناية إذ إنه لكثرة القتل والضرب بهما أشبعا دما، فالشاعر لم يرد ظاهر القول فقط من أنهما سقيا دماً، وإنما قصد معنى خفياً وهو كثرة الضرب والطعن الذي ألحقه في صفوف الأعداء.

فتتمظهر حجاجية أسلوب الكناية في أنه أعطى الخطاب معنيين، أحدهما قريب غير مقصود وقد يكون مقصود أيضاً وآخر يختفي خلف النص وهو الذي يسعى إليه المتكلم؛ لما له من تأثير قوي في المتلقي ولما يمتلكه من قوة راسخة في الخلفيات المعرفية للمتلقي بغية تحقيق الهدف الإقناعي، فالمعنى الظاهر هو شربهم الدماء، لكن المعنى الذي يهدف المتكلم إليه هو كثرة الطعن والضرب والذي يدل على شجاعته وقوته.

ومن الكنايات الحجاجية قول طرفة بن العبد[39]:

نقل للشحم في مشتاتنا نحر للنيب طرّادو القرم

نزع الجاهل في مجلسنا فترى المجلس فينا كالحرم

وتفرعنا من ابني وائل هامة العز وخرطوم الكرم

الشاعر في أبياته السابقة يفخر بقومه ويعدد مآثرهم، ولإقناع المخاطَب بالمكانة الرفيعة التي يتحلى بها قومه يلجأ إلى الكناية فهو في البيت الأول يكني عن صفة الكرم والسخاء التي تلازمهم، ولم يصفهم بشكل صريح بذلك، ولكن نلمح المعنى المراد من خلال حديثه عن نحر الإبل لإطعام الجار والضيف، وهؤلاء القوم يقومون بذلك في فصل الشتاء حيث يحلّ البرد والجفاف والجوع بالناس، وأيضاً من خلال استعماله للفظ النيب وهي الإبل المسنة وتكون هذه الإبل كثيرة اللحم.

ويتابع ذكر مفاخرهم فمجالسهم مقدسة لا تضم الإنسان الجاهل، فهي تضم خيرة الناس من العلماء والفصحاء، وينتقل في البيت الثالث إلى الفخر بأصله ونسبه، فهو ينحدر من

[39] ديوان طرفة بن العبد - ص118-117.

قبيلتي بكر وتغلب أعلى مكانة وأرفع منزلة، مستعينا بالكناية للتعبير عن ذلك من خلال قوله:(هامة العز وخرطوم الكرم) فهي كناية عن العزة والشرف التي يتمتع بها قومه.

ومن أمثلة الكناية الحجاجية قول حاتم الطائي[40]:

إذا ما بخيل الناس هرّت كلابه وشق على الضيف الضعيف عقورها

فإنّي جبان الكلب، بَيْتي مُوَطّأٌ أجود إذا ما النفس شحّ ضميرها

وإنّ كلابي قد أُقِرَّتْ وعُوِّدَتْ قليلٌ على من يعتريني هريرها

فالشاعر يفخر بكرمه وجوده، ولإظهار شدة كرمه يستعين بالكناية لإقناع المتلقي بصدق دعواه، حيث إنه في الوقت الذي تهر كلاب الإنسان البخيل ويصعب عليه إطعام الضيف، فإن كلاب الشاعر جبانة تعجز عن الهرير، وهنا موقع الكناية(جبان الكلب) فهي كناية عن كرمه، فهذه الكلاب قد أصبحت جبانة، لا تهرّ إذا ما اقترب من البيت طارق أو ضيف، وذلك لأنها ألفت هذا المشهد وهو مشهد متكرر مشهد قدوم الضيوف في أي وقت من اليوم ليلاً ونهاراً، فالشاعر كريم يجود بما يمتلك ويكرم ضيفه، وقد تعودت على هذا المشهد الكلاب وألفته.

ومن الكنايات الحجاجية في غرض الهجاء قول الأعشى في هجاء علقمة بن علاثة[41]:

أَعلقمُ قد حكمتني فوجدتني بكم عالماً على الحكومة غائصا

كِلَا أَبَوَيْكُمْ كان فرعاً دِعامةً ولكنَّهُمْ زادوا وأصبحْتَ ناقصا

تَبِيتُونَ في المَشْتَى مِلَاءً بُطُونُكُمْ وجاراتكم غَرْثى يبتنَ خَمَائِصَا

فعلقمة حكّم الأعشى في خلاف بينه وبين عامر بن الطفيل لمعرفته بأنه شخص عادل، ولما كان الحكم لصالح عامر بن الطفيل ثار علقمة ولم يقبل بالحكم، فرد عليه الأعشى يهجوه في الأبيات السابقة ويخبره بأن حكمه عادل فهو يعلم بما دق وخفي من شؤونهم، إذ ينفي عنهم المكارم، ويستعين بالكناية الحجاجية لإقناع المتلقي بصحة دعواه، وموضع الشاهد البيت الثالث(تبيتون في المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا) فهي كناية عن بخلهم، إذ يبيتون في الشتاء وقد شبعوا، وفي الوقت نفسه تبيت جاراتهم جوعى فارغين البطون، فكيف له أن يطالب بأن يكون الحكم له وهو لا يتمتع بتلك الأخلاق

[40] ديوان حاتم الطائي - ص231.

[41] ديوان الأعشى – ص149.

الرفيعة التي يتصف بها أشراف القوم، ولعل الأعشى قصد من وراء هذه الكناية دعوة المهجو إلى تحسين سلوكه والاتصاف بالأخلاق العالية الكريمة.

ومن الكنايات الحجاجية أيضا قول عارق الطائي يهجو المناذرة[42]:

واللهِ لو كان ابنُ جفنةَ جَارَكُمْ لَكَسَا الوُجُوهَ غَضَاضَةً وهَوَانَا

وسلاسلاً يثنين في أعناقكم وإذاً لَقَطَعَ تلْكُمُ الأَقْرَانَا

فالشاعر بهجائه يخص عمرو بن هند ملك المناذرة، ويصور سوء مجاورته حيث أن القرب منه يجلب الهوان والمذلة، ولإقناع المتلقي بهذه الصفات يستعين بالكناية في قوله(لقطع تلكم الأقرانا)فهذه الكناية الحجاجية كناية عن تبديد الجمع والتفرق، فالقرب من المهجو يزرع التفرقة والبعد بين الناس.

- **نتائج البحث:**

ونخلص مما سبق إلى النتائج الآتية:

ـ إن للصورة دورا كبيرا في حجاجية النص الشعري، وإقناع المتلقي والتأثرفيه.

ـ تأتي الاستعارة في المركز الأول من حيث أنواع الصورة بقوة إقناعها وحجاجيتها و وذلك حسب الدراسة الموجودة في غرضي الفخر والهجاء.

ـ جاء التشبيه مكملا للاستعارة في درجة إقناعها وتأثيرها، إذ عمل على تقريب الصورة إلى ذهن المتلقي.

ـ كان للكناية دور مهم في بيان حجة الشاعر وزيادة تأكيدها.

ـ استوحى الشعراء صورهم من الواقع المعاش فكانت قريبة إلى ذهن القارئ ومألوفة وبالتالي حصل الإقناع.

ـ كانت معظم هذه الصور أخلاقية تدعو إلى رفض الصفات السيئة ونلحظ هذه الصور بكثرة في غرض الهجاء.

ـ نجد معظم الشعراء في فخرهم احتجوا لشجاعتهم وتفوقهم في المعارك التي خاضوها على غيرهم من القبائل، وبالتالي كانت معظم صورهم مستمدة من واقع الحرب وأحداثها.

ـ نجد أن غرض الفخر غلب على معظم القصائد وبالتالي تركزت فيه معظم الصور الحجاجية، ودارت حول الفخر بالنفس والقبيلة وتفوقها على الأعداء.

ـ بالنسبة لغرض الهجاء كانت معظم الصور تحمل رفض لتصرف المهجو الذي يخرج فيه عن قيم المجتمع، ودعوة صريحة للعدول عن ذلك السلوك.

[42] ديوان الحماسة- أبو تمام- ص861.

- قائمة المصادر والمراجع:

- **المصادر:**

1-الحيوان - الجاحظ - تحقيق: عبد السلام هارون _ مطبعة مصطفى البابي الحلبي _ مصر_ ط2_1965.

2-دلائل الإعجاز _ عبد القاهر الجرجاني_ تحقيق: محمود محمد شاكر_ مكتبة الخانجي_ القاهرة_ 1984.

3-ديوان الأعشى الكبير- تحقيق محمود إبراهيم محمد الرضواني- مطابع قطر الوطنية- الدوحة- قطر- ط1- 2010.

4-ديوان أوس بن حجر_ تحقيق وشرح: محمد يوسف نجم_ دار صادر _بيروت _ط3_1979.

5-ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي_ تحقيق: عزة حسن_ مديرية إحياء التراث القديم_ دمشق_ 1960.

6-ديوان حاتم عبد الله الطائي_ تحقيق: عادل سليمان جمال_ مكتبة الخانجي_ القاهرة_ ط2_ 1990.

7-ديوان الحارث بن حلزة _ دار الكتاب العربي_ بيروت _ط1_ 1991.

8-ديوان الحطيئة_ شرح ابن السكيت_ تحقيق: مفيد محمد قمحية_ دار الكتب العلمية_ بيروت_ لبنان_ ط1_ 1993.

9-ديوان دريد بن الصمة_ تحقيق: عمرعبد الرسول_ دار المعارف _القاهرة.

10-ديوان طرفة بن العبد_ شرح الأعلم الشنتمري_ تحقيق: درية الخطيب، لطفي الصقال_ دار الثقافة والفنون_ البحرين_ ط2_2000.

11-ديوان عامر بن الطفيل- تحقيق هدى جنهويتشي- دار البشير- عمان- ط1- 1997.

12-ديوان عمرو بن كلثوم_ تحقيق: إميل بديع يعقوب_ دار الكتاب العربي_ بيروت_ ط1_1991.

13-شرح ديوان الحماسة- أبو تمام- الخطيب التبريزي- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- ط1-2000.

14-شرح ديوان عنترة بن شداد_ الخطيب التبريزي_ دار الكتاب العربي_ بيروت_ط1_ 1992.
15- شرح شعر الشنفرى الأزدي- محاسن إسماعيل علي الحلبي- تحقيق خالد عبد الرؤوف الجبر- دار الينابيع- عمان- ط1- 2004.
16-كتاب الصناعتين_ أبو هلال العسكري_ تحقيق: علي محمد البجاوي_ المكتبة العصرية_ بيروت_ ط1_2006.
17-لسان العرب _ ابن منظور الإفريقي_ دار صادر _ بيروت.
18-المفضليات_ المفضل الضبي_ تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، عبد السلام محمد هارون_ دار المعارف_ القاهرة_ ط6.
19-المعجم الوسيط _ مجمع اللغة العربية_ ط3_ 1993.
20-نقد الشعر_ قدامة بن جعفر_ تحقيق: كمال مصطفى _مكتبة الخانجي_ مصر- 1963.

- **المراجع:**

1-الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر- عبد القادر القط_ مكتبة الشباب_ القاهرة _ط1_ 1988.

2-استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية_عبد الهادي بن ظافر الشهري_ دار الكتاب الجديد المتحدة_ بيروت_ط1_2004.

3-جواهر البلاغة_ أحمد الهاشمي_ مؤسسة هنداوي.

4_الحجاج في البلاغة المعاصرة_ محمد سالم محمد الأمين الطلبة_ دار الكتاب الجديد المتحدة_ ط1_2008.

5-الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه_ سامية الدريدي _عالم الكتب الحديث_ إربد_ الأردن_ط2_2011.

6_الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني_ أحمد علي دهمان_ ج1_ دار طلاس_ط1_1986.

7_الصورة البيانية في الموروث البلاغي_ حسن طبل_ مكتبة الإيمان_ ط1_2005.

8_ الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري_ علي البطل_ دار الأندلس_ بيروت_ لبنان_ ط3.

9_ عندما نتواصل نغير_ عبد السلام عشير_ أفريقيا الشرق_ المغرب_2006.

10_ في أصول الحوار وتجديد علم الكلام_ طه عبد الرحمن_ المركز الثقافي العربي_ الدار البيضاء_ المغرب_ط2_ 2000.

11_ في حجاج النص الشعري_ عبد الباسط عيد_ أفريقيا الشرق_ المغرب_ 2013.

12_ اللغة والحجاج_ أبو بكر العزاوي_ العمدة في الطبع_ الدار البيضاء_ ط1_ 2006.

13_ النقد الأدبي الحديث_ محمد غنيمي هلال_ دار نهضة مصر للطباعة_ 1997.

الدوريات:

1--بلاغة الخطاب وعلم النص_ صلاح فضل_ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب_ عالم المعرفة_ الكويت_العدد164_ 1992.

The sources and references
Al- Massader wa al- Marajeh

- **The sources:**

1-al jahiz-R:1965_ al haioan_ abd al salam haron_ matbaat Mustafa al babe al halabe_ maser_ t2.
2-abd al kaher al jorjane_R1984_dlail al eajaz_ Mahmoud muhamad shaker_ maktabt al khanje-al kahera.
3-mahmoud ibrahem muhamad al radwani-R2010-diwan al aasha al kaber- matabai Qatar al watania- al daoha-qatar-T1.
4- muhamad yusef najm _R:1979_ diwan aos ibn hojer_ dar sader_ byrut_ T3.
5- azat hasan _R1960_ diwan besher ibn abe khazem al aside _ modereit ehiaa al torath al kadem_ dimashek.
6- adel solaiman jamal _R1990_ diwan hatem al taee _ maktabt al khanje-al kahera_T2.
7- al hares ibn helzat _R:1991_ diwan al hares ibn helzat_ dar al katab al arabe_ byrut_T1.
8- ibn al sakat_ mofed muhamad kamheat _ R:1993_ diwan al hutia _ dar al keteb al alelmeat_ byrut_ lebnan_T1.
9- omar abd al rasol_ diwan dored ibn al somat_ dar al maaref_ al kahera.
10- al aalam al shentamre _ R:2000_ diwan torfa ibn al abed _ doreat al khateb, lotfe al sakal_ dar al thakafa wa al fenon_ al bahren_T2.
11- huda janhoitshe-R:1997-diwan amer ibn al tofil- dar al basher-aman- T1.
12- emel badea yakob _ R:1991_ diwan amer ibn kalthom _ dar al katab al arabe_ byrut_ T1.
13- al khatab al tabreze- R: 2000- shareh diwan alhamasa- dar al keteb al alelmeat_ byrut_ lebnan_T1.
14- al khatab al tabreze _ R:1992_ shareh diwan antara ibn shadad _ dar al katab al arabe_ byrut_ T1.
15- khaled abd al raof al jabr _ R:2004_ shareh shaar al shanfara -_ dar al yanabai_aman _T1.
16- abo helal al askare _ R:2006_ katab alsenaaten _ ali muhamad al bejawe_ al maktaba alasrea_ byrut_ T1.

17- ibn manzor al efreke_ lesan alarab_ dar sader_ byrut.
18- al mofadal aldobe_ al mofadaleat _ dar al maaref_ al kahera_ T6.
19- al muagam al waste_R:1993_ mojamaa al logat alarabeat_ T3.
20- kodama ibn jaafar _R:1963_ naked al shiar _ maktabt al khanje-maser.

- **The References:**

1- abd al kader alkot _ R:1988_ al etejah al wejdane fi al shiar al arabe al moaaser _ maktabt al shabab_ al kahera_ T1.
2- abd al hade ibn zafer al shahre _ R:2004_ esteratejeat al khatab _ dar al katab al jaded al motahadat_ byrut_ T1.
3- ahmad al hasheme_ jawaher al balaga _ moasasat hendawe.
4- muhamad salem muhamad al amen al talaba_ R:2008_ al hejaj fi al balagat al moasera _ dar alkatab al jaded al motaheda_T1.
5- sameat al doriede _ R:2011_ al hejaj fi al shiar al arabe benitah wa asalebah_ aalam al katob al hadith_ erbed_ al erdon_T2.
6- ahmad ali dahman _ R:1986_ al sora al balagea end abd al qaher al jorjane _ J1_ dar tlas_ T1.
7- hasan al tabl_ R:2005_ al sora al baianeat fi al maoroth al balage_ maktabet al eeman_ T1.
8- aly al batal_ al sora fi al shiar al arabe hata akher al qarn al thane al hejre _ dar al andalos_ byrot_ lebnan_T3.
9- abd al salam asher _ R:2006_ endama natawasal nogier _ afreqei al shareq_ al magreb.
10- taha abd alrahman _ R:2000_ fi asol alhewar wa tajded alm alkalam _ almarkaz althaqafe alarabe_ aldar albiedaa_ almagrib_T2.
11- abd albasit ead _ R:2013_ fi hejaj alnas alshiare _ afreqei al shareq_ al magreb.
12- abo baker alazawe _ R:2006_ allogat wa alhijaj _ alomda fi altabaa_ aldar albiedaa_T1.
13- muhamad ghonaime helal _R:1997_ alnaqid aladabe alhadeth _ dar nahdet maser lltebaa.

أثر التَّداعي في بناء الحُقول الدَّلاليَّة في معجم "فقه اللُّغة وأسرار العربية" للثعالبي(429هـ)

الدكتورة وصال الحميد
كلية الآداب/ جامعة البعث

الملخص:

يتناولُ هذا البحثُ العلاقةَ بين التَّداعي النَّفسيّ ونظريةِ الحُقول الدَّلاليَّة، وما قامَ به علماءُ اللُّغة المحدثون من تنظيمٍ لهذا التَّداعي وضبطٍ بحيث أمكنَ توظيفُه في الحقلِ المعجميّ لبناءِ ما يُعرَفُ بمعجماتِ الحُقول الدَّلاليَّة، وما للتَّداعي من أثرٍ في بناءِ معجماتِ المعاني قديماً. وتقييداً لحدودِ البحثِ اخترنا **فقهَ اللُّغة وأسرارَ العربيَّة للثَّعالبي (ت:429هـ)** لما امتازَ به هذا المعجمُ من محاولاتٍ جادَّةٍ في ضبطِ العمليَّةِ النَّفسيَّةِ لخلقِ أبوابٍ وحقولٍ مُنظَّمةٍ إلى حدٍّ كبير.

الكلمات المفتاحية: التَّداعي ، الحُقول الدَّلاليَّة، معجمات المعاني، الثَّعالبي، فقه اللُّغة.

The Impact of Association on the Construction of Semantic Fields in the Dictionary of "Philology and Secrets of Arabic" by Al-Tha'alibi(d.429AH)

Abstract

This research deals with the relationship between psychological association and the theory of semantic fields and what modern linguists have done in organizing and controlling this association so that it can be employed in the lexical field to build what supports the dictionaries of semantic fields and the effect of association in building dictionaries(of meanings) in the past. In order to constrain the limits of the research, we chose the Philology and Secrets of Arabic by Al-Thaalibi (D. 429 AH) because of the serious attempts of this dictionary to control the psychological process to create highly organized entries and fields.

Keywords: association, semantic fields, lexicons of meanings, al-Tha'alibi, philology.

المقدَّمة:

ما الكلامُ إلا تعبيرٌ عن الفِكْرِ، إذ تختزلُ الكلمةُ فكرةً أو مفهوماً أو ارتباطاً نفسيَّاً، والأفكارُ والمفهوماتُ تتصلُ في دماغِنا في شبكةٍ معقّدةٍ من العلاقاتِ، وكذا الكلماتُ المعبّرةُ عنها. وقد حاولَ الفلاسفةُ وعلماءُ النَّفسِ ومن ثَمَّ علماءُ اللُّغة فهمَ هذه الشَّبكةِ من العلاقاتِ المركَّبةِ بين الفكرةِ والفكرةِ والمفردةِ والمفردة؛ فتكلَّمَ الفلاسفةُ على تداعي الأفكارِ وتحدَّث فرويد عن التَّداعي الحرّ، وأفاد علماءُ اللُّغة المحدثون من هذه الفكرةِ، فقد تحدَّثَ دُه سوسور عن مفهومِ التَّداعي في سياقِ حديثِهِ عن العلاقاتِ النَّظميَّةِ السّياقيَّةِ والعلاقاتِ الجَدوليَّةِ الاستبداليَّةِ، إذ ربطَ بين التَّداعي وقدرةِ اللُّغة على استبدالِ كلمةٍ مكانَ كلمةٍ أخرى بحيث تستطيعُ تشكيلِ جداولٍ من خلال العلاقاتِ الجدوليَّة الاستبداليَّة، وأضافَ المحدثون بعده ما يُعرَفُ بالحُقولِ السّياقيَّة، فاجتمعَ عندنا نوعانِ من الجداولِ أو من الحُقولِ أسهمَ في تشكيلهما نوعانِ من التَّداعي: تداعٍ أفقي وتداعٍ عمودي، أحدُهما على المحورِ النَّظميّ والآخرُ على المحورِ الجدوليّ أو العموديّ.

يُعدُّ المعجمُ الميدانَ التَّطبيقيَّ لنظريةِ الحُقول الدَّلاليَّة، فقد سعى المحدثون في القرنِ التاسع عشر إلى بناءِ معجماتٍ تقومُ على مبدأ تجميعِ الألفاظِ ذاتِ المعاني المترابطةِ في حقلٍ واحدٍ تتفرَّعُ أحياناً إلى حقولٍ أصغرَ، وكانَ العربُ قد اهتدَوا إلى هذا النَّمطِ من التَّأليفِ في وقتٍ مبكّرٍ فيما سمَّاه الدَّارسون بمعجماتِ المعاني، وقد مرَّ التَّأليفُ في هذا النَّوع بمراحلَ إلى أن وصلَ إلى النُّضجِ، ويمثِّلُ معجمُ **فقهِ اللُّغة للثَّعالبيّ** تنظيماً ينمُّ على وعيٍ لمنهجِ التَّأليفِ وإن كان لم يعتمدْ تسلسلاً أو ترتيباً واضحاً للأبوابِ بخلافِ الهمذانيَّ وابن سيده مثلاً.

منهجُ البحث:

اتَّبعَ البحثُ المَنهجَ الوصفيَّ الذي يرمي إلى وصفِ الظَّاهرةِ وصفاً آنياً لا تاريخيَّاً بعيداً عن المقارنةِ، والاكتفاءِ بالاستنتاجِ بعدَ استقراءِ عناصرِ الظَّاهرة.

هدفُ البحث:

وصفُ الحُقول الدَّلاليَّةِ في معجمِ الثَّعالبيَّ، وبيانُ العلاقاتِ الدَّلاليَّةِ بين الحُقولِ وبين المفرداتِ داخلَ الحقلِ الواحدِ، ومن ثَمَّ بيانُ أثرِ التَّداعي في بناءِ هذه الحُقول.

التَّداعي (Association) في علمِ النَّفسِ (ويُسمَّى أيضاً الاقتران أو التَّرابط):

"علاقةٌ وظيفيّةٌ بين ظواهرٍ نفسيَّةٍ تنشأ في أثناءِ خبرةِ الفردِ، وتؤدي بطبيعتها إلى أن ظهورَ الواحدةِ في العقلِ يستدعي ظهورَ الأخرى، أو عمليةُ تأسيسِ هذه العلاقة."[1] وله عند علماءِ النَّفسِ قوانينُ عِدَّة: الأوَّل قانونُ الاقترانِ، والثَّاني قانونُ المشابهةِ، والثَّالثُ قانونُ التَّضاد[2]. وهو نوعان: تداعٍ مقيَّدٌ وتداعٍ حُرٌّ؛ فالتَّداعي المقيَّد(**Controlled Association**) هو: "العمليةُ التي يتعيَّنُ بها نوعُ الاستجابةِ المطلوبةِ من الفردِ وفقاً لما تحدِّدُهُ التَّعليماتُ كأنْ يُطلَبُ منه ذكرَ الكلمةِ المضادةِ لكلمةٍ ما"[3] أمَّا التَّداعي الحُرّ: "**Free Association** " فهو: "العمليَّةُ التي ترِدُ فيها الخواطرُ على ذهنِ الفردِ عند تأثرِّهِ بمثيرٍ إذا لم تكنْ هناك تعليماتٌ تحدِّدُ نوعَ الاستجابة"[4].

ويعدُّ التَّداعي الحُرُّ المبدأَ الأساسيَّ في التَّحليلِ النَّفسيّ، وقد لجأَ إليه فرويد في العلاجِ بعد التنويمِ المغناطيسيَّ، ويقصدُ به فرويد أن يقولَ المريضُ كلَّ شيءٍ في تلقائيَّةٍ من دون انتقاءٍ أو تعمُّدٍ، أي أن يعبِّرَ عن كلِّ الأفكارِ التي ترِدُ إلى ذهنِهِ بعفويَّة[5]. وفي التَّداعي الحُرِّ يكشفُ استدعاءُ الألفاظِ بعضها لبعض عن التَّرابطِ الشُّعوريّ واللاشعوريّ، بين الصَّريحِ والمكبوتِ من الرَّغباتِ والصِّراعاتِ، وبعضُ التَّداعي يأتي عَرَضاً وبعضُه يكونُ متناسباً ومتّسقاً

---

[1] معجم علم النفس والتربية، مجمع اللُّغة العربية بالقاهرة (لجنة علم النفس والتربية)، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1984م، 16/1.

[2] يُنظَر: المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا، مكتبة المدرسة، دار الكتاب اللبناني ، بيروت، 1982م،263/1.

[3] معجم علم النفس والتربية، مجمع اللُّغة، 16/1.

[4] المرجع السابق، 16/1.

[5] يُنظَر: معجم علم النفس والتحليل النفسي، د. فرج عبد القادر طه وآخرون، دار النهضة العربية بيروت، الطبعة الأولى، ص 109،110.

ومنطقياً[6]. وتداعي الألفاظِ يعني التَّرابط الذي يكون بين الألفاظِ بحيث تستدعي معانيها ألفاظاً أخرى متعلقةً بالمعاني الأولى[7].

تكلم فردينان دُه سوسور على التَّداعي[8]، والتَّداعي جانبٌ نفسيٌّ وهو مصطلحٌ سيكولوجي خارج اللُّغة وليس داخلها، ما جعلَ منه مأخذاً على سوسور، وقد فسَّر مفهوم التَّداعي بوساطةِ العلاقاتِ داخل منظومةِ اللُّغة؛ إذ يميّزُ سوسور بين نوعينِ من العلاقاتِ في منظومةِ اللُّغةِ: علاقاتُ السِّياق (العلاقاتُ النَّظميَّة السِّياقيَّة) وعلاقاتُ التَّداعي (العلاقاتُ الجدوليَّةُ الاستبداليَّة). وترتبطُ علاقاتُ السِّياق **syntagmatique** بخاصيّةِ الخَطيَّةِ، ويمكنُ تعريفُها بالعلاقةِ التي تقيمها الوحدةُ اللُّغويَّةُ مع الوحداتِ الأخرى العائدةِ للمستوى نفسه، وتأتلف معاً لتشكَّل نظيماً **syntagme**، وعلى المحور النَّظميّ تتشكَّل الأنساق، وفي هذه الأنساق تتجلَّى العلاقاتُ السِّياقيَّةُ التي تظهر في قواعدَ لغويَّةٍ تحدِّد الأنساقَ الممكنةَ وتثبتها، فلابدَّ مثلاً للصِّفة من أن تطابقَ الموصوف، ولابدَّ من تعريفِ المبتدأ وتنكيرِ الخبر، ولابدَّ للفعل من أن يتقدَّم على الفاعل، وهكذا... ولكن ماذا إذا وجدنا أنفسنا أمام جملةٍ مثل: (حفريات التِّلفاز اللَّحميّ والزَّمنيّ هي حمامٌ صخريٌّ وصغيرٌ عصفوريٌّ يغمزُ خشبيَّاً)... إن مثل هذا النسق السليم من الناحية السياقية النظمية يجعلنا نتأكد من أن العلاقات النَّظميَّة السِّياقيةَ ليست كل شيء، إذ إن هذه الكلمات لا تشكِّل معاً مجموعاتٍ يستدعيها ذهن الإنسان؛ فالحفرياتُ تستدعي التُّربة والصَّخر...، والتِّلفازُ يستدعي الملَّون والأبيض والأسود لا اللَّحميّ والزَّمنيّ... ومن هنا تأتي أهميَّةُ علاقاتِ التَّداعي: إنَّها علاقاتُ الإبدال بين الوحداتِ القادرةِ على القيامِ بالفعلِ نفسه، وهي تسمح للمتكلِّم بالانتقاء بين قائمةٍ من الألفاظ التي يستدعيها الذِّهن، وتبعاً للإمكانات التي تقدِّمها اللُّغة.

---

[6] يُنظَر: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، د. عبد المنعم الحفني، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 2000م، ص190.

[7] يُنظَر: المرجع السابق، ص190.

[8] يُنظَر: مدخل إلى اللسانيات، د.رضوان القضماني، جامعة البعث، حمص، 1988م، ص67،68، ومحاضرات في الألسنية العامة، ، فردينان ده سوسور، ترجمة يوسف غازي ومجيد النصير، دار نعمان للثقافة، بيروت، 1984م، من ص149 إلى ص153.

فالتَّداعي مرتبطٌ بالعلاقاتِ الجدوليَّةِ الاستبداليَّةِ، ففي اللُّغة قدرةٌ كامنةٌ على تشكيل ألفاظها في مجموعاتٍ وجداولَ يستدعي بعضها بعضا.

والتَّرابط بين الألفاظ على المحور النَّظميّ السِّياقيّ هو ما يسمى المصاحبة عند بعض الباحثين[9] أو الاقتران اللَّفظيّ (**Collocation**) الذي يُعرَّف بأنه: "الميلُ الاعتياديُّ لكلمةٍ ما على مصاحبةِ كلماتٍ معيَّنةٍ دون غيرها."[10] أي "التّكرار المشترك لبعض الألفاظ"[11]، فلفظ طويل يمكن أن يقترن بكلمات من مثل رجل، نبات، طريق... ولكنه لا يقترن بلفظ جبل، إذ نقول جبل عالٍ أو جبل شاهق، ولفظ خرير يستدعي لفظ الماء والنهيق الحمار...

وقد يسمّي بعض الباحثين استدعاءَ الألفاظ بعضها لبعض تداعياً على كلا المحورين االنَّظميّ، والاستبداليّ، إذ يعرِّف الدكتور إميل يعقوب وزميلاه التَّداعي بقولهم: "التَّداعي(**association**) في المعنى العام؛ اقترانُ شيءٍ أو مفهومٍ بأشياءَ ومفاهيمَ أخرى في ذهن المتكلِّم أو السَّامع. ويتكلَّم اللسانيون على التَّداعي النظمي أو التركيبي **association syntagmatique** عند تكرار كلمتين متجاورتين إحداهما بالأخرى في السلسلة الكلامية، مثل تداعي كلمتي(كرسي)، و(جلس). كما يتحدثون عن التَّداعي الاستبداليّ **association paradigmatique** عند اقتران كلمتين يمكن استبدال إحداهما بالأخرى في المكان ذاته من السِّلسلة الكلاميَّة، مثل اقتران كلمتي (دفتر)، و(كتاب)."[12]

---

[9] المصاحبة شكل من أشكال العلاقة الأفقية على المستوى المعجمي، وقد دُرِست العلاقات الأفقية(syntagmatic) بين المفردات المعجمية تحت عنوان المصاحبة، كما دُرِست العلاقات الرأسية (paradigmatic) تحت عنوان الحُقول الدَّلاليَّة. يُنظَر: المصاحبة في التعبير اللغوي، د. محمد حسن عبد العزيز، دار الفكر العربي، القاهرة، ص34.

[10] Semantics, Palmer, Cambridge University Press, 1976, p 76.

[11] التحليل الدلالي: إجراءاته ومناهجه، د.كريم زكي حسام الدين، دار غريب، القاهرة،2000م،35/1.

[12] قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية(عربي_ إنكليزي_ فرنسي)، د. إميل يعقوب، د. بسام بركة، مي شيخاني، بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، 1987م، ص114.

إن ظاهرتي المصاحبة والتَّداعي تبنيان المعجماتِ القائمةَ على أساس الموضوعات، إذ الموضوع هو مجموعة المفردات التي تنتمي إلى عائلةٍ لغويَّةٍ واحدة، والتَّرادف والصِّلات الدَّلاليَّة هي مما يؤسّس العائلةَ اللغوية.[13] ومن العلماء من حاول الرَّبط بين المصاحبة والحُقول الدَّلاليَّة في التَّأليف المعجميّ إذ طوَّر بعضهم مفهوم الحُقول الدَّلاليَّة في سبعينيات القرن الماضي، وكانت نظريتُهم تقوم على أساس المركَّبات الزَّوجية، وتتألَّف هذه المركَّبات نمطياً من اسم وفعل أو من صفة وموصوف... وترتبط المفردتانِ من كل مركَّب بدلالةٍ ضروريَّةٍ فلا يمكن أن نفسَّرَ ينبح بلا ذكر الكلب، أو الأشقر من دون ذكر الشَّعْر، والعضّ من دون ذكر الأسنان وهكذا.[14] وقد سمَّى بعضهم الحُقولَ الدَّلاليَّةَ التي تشمل مجموعاتِ الكلمات المترابطة عن طريق الاستعمال الحُقول السنتجماتية **Syntagmatic fields** أو الحُقول السِّياقية، وقد كان بوزج **W.Pozig** (عام **1974**م) أول من درس هذه الحُقول، وذلك حين وجَّه اهتمامَه إلى كلمات مثل: (كلب_ نباح)، (فرس_ صهيل)، (يرى_ عين)، (يمشي_ قدم)، (سمع_ أذن)،(أشقر_شعر)، (ينتقل_ سيارة)...[15]

الحُقول الدَّلاليَّة:

بدأت فكرة الحُقول الدَّلاليَّة تتبلور في عشرينيات القرن العشرين الميلادي وثلاثينياته على أيدي علماء ألمان وسويسريين، وكان من أبرزهم الألماني ترير **Trier** عام **1934**م إذ استطاع بدراسته التَّنظيميَّة لحقل الذَّكاء(الفِكر) في اللُّغة الألمانية أن يبلور ويجمع في انسجامٍ الأفكارَ الموجودةَ في فترته بطريقة أسست مدرسة أو تياراً أو منهجاً عُرِف بنظرية الحُقول الدَّلاليَّة.[16]

---

[13] يُنظَر: الموضوعية البنيوية: دراسة في شعر السياب، عبد الكريم حسن، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1403هـ/1983م، ص32،33.

[14] يُنظَر: المصاحبة في التعبير اللغوي، د. محمد حسن عبد العزيز، ص42.

[15] يُنظَر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، 1989م، ص80،81.

[16] أصول تراثية في نظرية الحُقول الدَّلاليَّة، د. أحمد عزوز، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002م، ص10.

تعتمد هذه النَّظرية على الفكرة المنطقيَّة التي تقول بأن الدَّلالاتِ لا توجد منعزلةً الواحدة تلو الأخرى في الذِّهن، بل لابدَّ لإدراكها من ارتباط كل دلالةٍ منها بدلالة أو بدلالات أخرى؛ فلفظ إنسان لا يمكن أن نعقله إلا بالإضافة إلا الحيوان مثلاً، ولفظ الرَّجل بربطه بلفظ امرأة، ولفظ حار بربطه ببارد...وهكذا. فالكلمة عند أصحاب هذه النَّظرية لامعنى لها بمفردها، ولكنها تكتسب معناها في ضوء علاقاتها بالكلمات الأخرى، ومعنى هذه الكلمة لا يتحدَّد إلا ببحثها مع أقرب الكلمات إليها ضمن مجموعة واحدة.[17]

وبدأت دراسةُ الألفاظ وفقاً لهذه النَّظرية بدراسةِ مجالاتٍ محدَّدةٍ من اللُّغة، شكلَّت فيما بعد المعجماتِ، فقد دُرِست في فرنسا _على سبيل المثال_ مجالاتٌ تتعرَّض ألفاظُها للتَّغيُّر والامتداد السَّريع، وتعكس تطوراً سياسياً أو اقتصادياً أو اجتماعياً مهمَّاً، وقام بهذه الدِّراسة **Matore**(**1953**م) وأتباعه في خمسينيات القرن العشرين، وأهم الحُقول أو المجالات التي أقيمت عليها الدِّراسة: ألفاظ القرابة، والألوان والنَّبات، والأمراض، والأدوية، والطَّبخ، والأوعية، وألفاظ الأصوات، وألفاظ الحركة، وقطع الأثاث، والخواصّ الفكرية، والأيدلوجيات، والجماليات، والمثل، والدين، والإقطاع، ومؤيدو البلاط والخارجون عليه، والأساطير والخرافات، والتِّجارة، والعداوة والهجوم، والاستقرار والإقامة، والحيوانات الأليفة، وصفات العمر، وأعضاء البدن...[18]

وقد رأى كثير من الباحثين أن مثل تلك الدِّراسات لمجالاتٍ محدَّدةٍ من الألفاظ أجدى وأنفع من دراسة الكلمات منعزلةً عن مجالها وعصرها.[19] فكلمات كل لغةٍ _وفقاً لهذه الفكرة_ تُصنَّف في مجموعاتٍ ينتمي كلٌّ منها إلى حقلٍ دلاليٍّ معيَّن وعناصر كلِّ حقلٍ يحدِّد كل منها معنى الآخر، ويستمدُّ قيمته من مركزه داخل النِّظام[20].

وقد أسهم اللُّغويون الأنثروبولوجيون في تقدُّم نظرية الحُقول الدَّلاليَّة عن طريق التَّصنيفات العامَّة التي قاموا بها في مجالاتٍ ثقافيةٍ متنوِّعةٍ، ومنهم من قام بدراساتٍ ترتكز على أساس سؤال الشَّخص أن يصنف الألفاظ داخل مجال ما ، وذلك من أجل تحديد التَّفريعات في داخل

---

[17] يُنظَر: التحليل الدلالي: إجراءاته ومناهجه، د. كريم زكي حسام الدين، 119/1،120.

[18] يُنظَر: علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، القاهرة: عالم الكتب، الطبعة الثانية، 1988م، ص83.

[19] يُنظَر: دلالة الألفاظ، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1972م، ص8.

[20] يُنظَر: علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، ص82.

التَّركيب المعجمي، وهذه التَّفريعات تكشف عن تصوّر المتكلِّم لكيفية تنظيم الأشياء الموجودة في العالم من حولنا[21].

تعريف الحقل الدلالي:

تطالعنا في الكتب اللُّغوية العربية تعريفاتٌ عِدّة للحقل الدَّلالي نقلها مؤلفو هذه الكتب عن علماء غربيين, ولا سيما أولمان (**s.ullmann**), وليونز (**J.lyons**), وجورج مونان (**G.Mounin**), وتعبّر هذه التَّعريفات في مجملها عن أن الحقل الدَّلاليَّ: "مجموعةٌ من الكلمات المترابطة فيما بينها بعلاقاتٍ دلاليَّةٍ, وتقع تحت لفظ عام يجمعها".

يعرّف **ullmann** الحقل الدلالي بقوله: "هو قطاع متكامل من المادة اللُّغوية يعبِّر عن مجالٍ معيَّن من الخبرة"[22], و**Lyons** بقوله: "مجموعةٌ جزئيَّةٌ لمفردات اللُّغة."[23] أما جورج مونان فيرى أنَّ الحقل الدلالي: مجموعة من الوحدات المعجميَّة التي تشمل مفهوماتٍ تندرج تحت مفهومٍ عامٍّ يحدِّد الحقل[24]

أنواع الحُقول الدَّلاليَّة والعلاقات داخل الحقل الدَّلاليّ:

حدَّد الباحثون أنواعاً للحُقول الدَّلاليَّة, وأنماطاً من العلاقات التي تربط بين الكلمات داخل الحقل الدَّلاليّ, فأمّا الأنواع فهي كما يحدِّدها **ullmann** ثلاثة:

1- الحُقول المحسوسة المتصلة, ويمثلها نظام الألوان في اللُّغات.

2- الحُقول المحسوسة ذات العناصر المنفصلة, ويمثِّلها نظامُ العلاقات الأسريَّة.

3- الحُقول التَّجريديَّة, ويمثلها ألفاظُ الخصائص الفكرية.[25]

أمّا العلاقات فهي التَّرادف **synonymy**, والاشتمال أو التَّضمن **hyponymy**، والتَّضاد **antonymy**, والتَّنافر **incompatibility**, وعلاقة الجزء بالكلِّ **part- whole relation**.[26]

---

[21] علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، ص86.

[22] المرجع السابق، ص79.

[23] المرجع السابق، ص79.

[24] أصول تراثية في نظرية الحُقول الدَّلاليَّة، د. أحمد عزوز، ص11.

[25] يُنظَر: المرجع السابق، ص107.

قد تحوي بعض الحُقول الدَّلاليَّة كثيراً من هذه العلاقات، في حين أن حقولاً أخرى لا تحوي إلا علاقةً واحدةً، وبعض العلاقات قد يكون ضرورياً لتحليل بعض اللُّغات دون الأخرى.

1- التَّرادف: " يتحقق التَّرادف حين يوجد تضمّن من الجانبين. يكون (أ) و(ب) مترادفين إذا كان (أ) يتضمن (ب)، و(ب) يتضمن (أ). كما في كلمة "أم" و"والدة""[27].

2_ الاشتمال: يختلف الاشتمال عن التَّرادف في أنه تضمّن من طرفٍ واحد. يكون (أ) مشتملاً على (ب) حين يكون (ب) أعلى في التَّقسيم التَّصنيفيّ أو التَّفريعيّ (**Toxonomic**)؛ مثل "فرس" الذي ينتمي إلى فصيلة أعلى "حيوان"، وعلى هذا فإنَّ معنى "فرس" يتضمَّن معنى "حيوان".

3_ علاقة الجزء بالكلِّ: علاقة الجزء بالكلَّ مثل علاقة اليد بالجسم، والعجلة بالسَّيارة، والفرق بين هذه العلاقة وعلاقة الاشتمال أن اليد ليست نوعاً من الجسم ولكنها جزء منه بخلاف "الفرس" الذي هو نوع من الحيوان وليس جزءاً منه.[28]

4_ التَّضاد: هناك أنواع متعددة من التَّقابل ترد تحت ما سمَّاه اللُّغويون بالتَّضاد:

أ_ التضاد الحاد، أو التضاد غير المتدرِّج؛ مثل حي _ ميت، متزوج _ أعزب، وذكر _ أنثى. وهو تقسيم لا يعترف بدرجات أقل أو أكثر، والنَّقيضان لا يجتمعان، فلا يمكن أن يصدقا معاً أو يكذبا معاً.[29]

ب_ التضاد المتدرِّج: ويمكن أن يقع بين نهايتين لمعيار متدرج؛ كأن نقول: الماء غال، أو دافئ، أو معتدل، أو مائل للبرودة، أو بارد، أو متجمِّد.[30]

ج_ العكس كالعلاقة بين بين باع واشترى، أو كالعلاقة بين زوج وزوجة.[31]

---

26 يُنظَر: المرجع السابق، ص 98.

27 أصول تراثية في نظرية الحُقول الدَّلاليَّة، د. أحمد عزوز، ص 98.

28 المرجع السابق، ص100.

29 المرجع السابق، ص102.

30 يُنظَر: المرجع السابق، ص102،103.

31 يُنظَر: المرجع السابق، ص103.

5_ التَّنافر: يرتبط التَّنافر بفكرة النَّفي مثل التَّضاد. ويتحقَّق داخل الحقل الدَّلاليّ إذا كان (أ) لا يشتمل على (ب)، و(ب) لا يشتمل على (أ)، أي أنه عدم التَّضمين من طرفين؛ وذلك مثل العلاقة بين خروف وفرس وقط وكلب.[32]

نظرية الحقول الدلالية والمعجم:

يعدُّ المجال المعجميُّ من أهم تطبيقاتِ نظريةِ الحُقولِ الدَّلاليَّةِ؛ إذ أصبحت اللِّسانياتُ الحديثةُ طموحةً بعد ظهور هذه النَّظرية لإعادة بناء نظام المعاني، وذلك عندما تلاقت البنيويةُ مع علم الدَّلالة، وشهد هذا اللُّقاءُ بناءَ مجموعاتٍ من الكلمات على أساس وجود خصائصَ معيَّنةٍ لهذه الكلمات، وكانت محاولةٌ طموحةٌ لإعادة بناء المعجم ولاسيما بعد أن أعرب اللغويون المحدثون عن عدم رضاهم عن الطريقة الآليَّة في تبويب الكلمات بطريقة الألف باء، ورأوا تصنيفها على أساس المعاني وظهرت محاولاتٌ كثيرةٌ لتصنيف مفردات اللُّغة في معجمات المعاني أو المفهومات **Conceptual dictionaries** معتمدةً على فكرة الحقل الدَّلاليّ الذي يفترض وجود مجموعةٍ من المعاني تتفق في الملامح الدَّلاليَّة المشتركة، ويمكننا عن طريق الحقل الدَّلالي أن نقف على البنية الدَّلاليَّة لكلِّ لغةٍ، والتي تختلف من لغةٍ إلى أخرى باختلاف الثَّقافة والتَّجارب للمجموعة اللُّغويَّة...[33]

إنَّ تصنيف معجمٍ وفقاً لنظرية الحُقول الدَّلاليَّة لم ينضج في الغرب إلا في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ولعل أشهر معجمٍ أوربيٍّ مبكِّر صُنِّف على أساس الموضوعات أو المفهومات المعجم الذي قدَّمه **Roget** لكلمات اللُّغة الإنجليزية وعباراتها، وقد طُبِع لأوَّل مرَّة عام **1852**م، وأعيد طبعه عشرات المرات، ثم وُجِدت أعمالٌ مشابهةٌ في الألمانية (**1933**م) والإسبانية(**1942**م).

وقد كان للعرب في هذا المجال قصب السَّبق، إذ اهتدى العرب إلى التَّصنيف في المعاني مع بداية جمع اللُّغة في أواخر القرن الأوَّل وبداية الثَّاني الهجريين، وظهرت الرَّسائل التي تخصَّصت بموضوعٍ معيَّنٍ في وقتٍ مبكِّرٍ من تاريخ الدِّراساتِ اللُّغويَّة العربيَّةِ، ثمَّ تطوَّرت الرَّسائلُ إلى كتبٍ يمكن عدُّها معجماتٍ ككتاب **الألفاظ لابن السكيت**(ت 244هـ)، و**الألفاظ**

---

[32] يُنظَر: أصول تراثية في نظرية الحُقول الدَّلاليَّة، د. أحمد عزوز، ص105،106.

[33] يُنظَر: المرجع السابق، 1/121،122.

الكُتَّابية للهمذاني(ت نحو **320**هـ)، وتلا ذلك مرحلةٌ نَضَجَ فيها التَّأليفُ في معجمات المعاني، وكان أشهر معجمات هذه المرحلة **فقه اللُّغة وأسرار العربية للثعالبي** (ت:**429**هـ)، **والمخصَص لابن سيده الأندلسي**(ت:**458**هـ).

وقد كان الهدف من تأليف هذه المعجمات رفد الشَّاعر أو الخطيب بما يحتاج إليه من مفرداتٍ في معنى ما، فتكون تلك المعجمات جمعاً لكلِّ ما قد يخطر على بال الإنسان من مفردات قد تتصل فيما بينها بعلاقة التَّرادف أو التَّضاد أو الاشتمال أو المصاحبة أو غيرها...

العلاقات داخل الحقول في معجم فقه اللُّغة للثعالبي وأثر التَّداعي في بناء هذه الحقول:

أولاً: التَّداعي المنظم والتَّداعي العشوائي:

يقع كتابُ الثَّعالبي في قسمين؛ الأوَّل فقه اللُّغة والثاني سرُّ العربية، بلغ عدد الحقول الكليَّة(الأبواب) في القسم الأوَّل ثلاثين باباً قسم كل باب إلى فصول(حقول فرعية) حتى قاربت السِّتمائة فصل، وخصَّص القسم الثَّاني لمسائل في العربيَّة وخصائصها الدَّقيقة، وما يعنينا في الدِّراسة القسم الأوَّل.

لا علاقة دلاليَّة أو منهجيَّة واضحة بين الأبواب، أمَّا الفصول فتجمعها غالباً علاقةٌ متينةٌ بعنوان الباب، لكنَّها أحياناً ترتبط فيما بينها بعلاقات التَّداعي المنظَّم، وأحياناً بعلاقات التَّداعي العشوائيّ غير المنطقيّ الذي يكون تارةً ضرباً من التَّداخل أو غيابِ التَّرتيب والتَّسلسل، وتارةً أخرى يكون ضرباً من الاستطراد؛ فمن التَّداعي المنظَّم ما ورد في باب "**الأصول والرؤوس والأعضاء والأطراف وأوصافها وما يتولد عنها وما يتصل بها وما يُذكَر معها**"[34] إذ نجد تسلسلاً منطقياً للفصول متدرّجاً من أعلى خلق الإنسان، يبدأ بالرَّأس والشَّعر ثمَّ الحاجب ثمَّ العين ثمَّ الأنف ثمَّ الفم فالأسنان... وهكذا ، ومن ذلك أيضاً الباب الرَّابع عشر[35]، وهو بابٌ غاية في التَّنظيم تحدث فيه عن السِّن، إذ بدأ الثَّعالبيُّ بالإنسان ورتب سِنَّه من الطُّفولة إلى الشَّيخوخة، ثم انتقل إلى صنوف الحيوانات في سنِّها، ففصلٌ في سنِّ البعير

فقه اللُّغة وأسرار العربية، أبو منصور عبد الملك الثعالبي، د. ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الثانية، 1420هـ/2000م، ص 141 وما بعدها.

35 المصدر السابق، ص133 وما بعدها.

وآخر في سنِّ الفرس وثالثٌ في سنِّ البقرة الوحشيَّة ... وهذا التَّداعي المنظَّم ميزةٌ من ميزات موضوعات الثَّعالبيّ في معجمه إذ اتَّسمت بـ" تدرّجها وتسلسلها من الكليَّات إلى الجزئيات، ومن الأصول إلى الفروع، ومن الهيئات والأشكال الخارجية إلى الأحوال والدَّخائل. ومن الخطوط الكبرى والصُّور المشتركة، إلى الوجوه والعناصر والملامح الدَّقيقة، في تنويعٍ، وتفصيلٍ، وترتيبٍ يستدعي التَّقدير والإعجاب بهذه الإحاطة والغنى والعرض..."[36] فأظهرُ العلاقات في تأليف حقول الثَّعالبيّ كانت علاقةُ التَّدرُّج التي نلمسها في أغلب فصوله أو قل حقوله؛ ومن أمثلة الحُقول التي امتازت بالتَّدرُّج الواعي حقلٌ في ترتيب الطُّول وآخر في ترتيب القِصر، ففي الباب السَّادس الذي حمل عنوان "**في الطول والقصر**" كان الفصل الأوَّل "**في ترتيب الطُّول على القياس والتقريب**" يقول فيه: "رَجُلٌ طَويلٌ ثُمَّ طُوَالٌ* فإذا زَادَ فَهُوَ شَوْذَبٌ وشَوْقَبٌ* فإذَا دَخَلَ في حدِّ ما يُذَمُّ مِنَ الطُّولِ، فَهُوَ عَشَنَّطٌ وَعَشَنَّقٌ* فإذَا أَفْرَطَ طُولُهُ وَبلغَ النِّهايةَ فَهُوَ شَعَلَّعٌ وعَنَطْنَطٌ وسَقَعْطَرَى..."[37] ، وفي الباب نفسه قال الثَّعالبي في ترتيب القِصر: "رَجُلٌ قَصيرٌ ودَحْدَاحٌ* ثُمَّ حَنْبَلٌ وحَزَنْبَلٌ... ثُمَّ حِنْزابٌ وكَهْمَسٌ ... ثُمَّ بُحْتُرٌ وحَبْتَرٌ ... فإذَا كان مُفْرِطُ القِصَرِ يكادُ الجُلُوسُ يُوَازيهِ، فَهُو حِنْتَارٌ وحَنْدَلٌ... فإذَا كان كَأَنَّ القِيامَ لا يَزِيدُ في قَدِّهِ فهو حِنْزَقْرَةٌ..."[38] ومن أمثلة التَّدرُّج فصلٌ في ترتيب هزال البعير[39]، وفصل في خلاء الأعضاء من شعورها يبدأ فيه من الرأس ثم الحاجب ثم الجفن ثم الخد...[40] والأبيض عنده: أَبْيَضٌ ثم يَقِقٌ ثم لَهِقٌ ثم وَاضِحٌ ثم ناصِعٌ ثم هِجانٌ وخالص[41]، والعليل عنده: عَليلٌ ثم سَقيمٌ ومَريضٌ ثم وَقيد ثم دَنِفٌ ثم حَرِضٌ ومُحْرِضٌ وهو الذي لا حَيٌّ فَيُرْجى ولا مَيْتٌ فَيُنْسى[42] وقد بلغ في بعض الفصول غاية من التَّنظيم جمع فيه بين أكثر من أمر؛ ففي فصل الأعضاء، ذكر كل الأعضاء التي تقع بين عضوين وفق تدرُّجٍ منطقيٍّ بدأ فيه بالصُّدْغ (ما

---

[36] فقه اللُّغة وأسرار العربية، أبو منصور عبد الملك الثعالبي، ص 10.

[37] المصدر السابق، ص 77.

[38] المصدر السابق، ص 78.

[39] المصدر السابق، ص103

[40] المصدر السابق، ص 111.

[41] المصدر السابق، ص 121.

[42] المصدر السابق، ص 166.

بين لحاظ العين إلى أصل الأذن)، ثم الوَتَرَة (ما بين المِنخرين) ثم النَّثْرَة (فرجة ما بين الشَّاربين حيال وترة الأنف)... وانتهى فيه بالعِجان(ما بين الخصية والفقحة)[43]

لكن هذا النَّهج يشوبه بعض الخلل المنهجي في بعض العلاقات في بعض الفصول، فيأتي التَّداعي عرضاً غير منظَّم أو قل التَّداعي الحرُّ _ كما يسمَّى في علم النَّفس_ تجلَّى أحياناً في الخروج على الحقل والاستطراد، وأحياناً في العلاقات الضَّعيفة بين عنوانات الفصول وعنوان الباب الذي تقع تحته هذه الفصول؛ ومن أمثلة ذلك الباب السَّابع عشر الذي حمل عنوان "**في ذِكر ضروب الحيوان**"[44]، الذي نجد فيه خروجاً على عنوان الحقل العام كالكلام على النِّكاح والسُّلوك والطَّبائع السَّيئة والحسنة، فبعد فصلٍ تحدَّث فيه أبو منصور عن الجنِّ يستطرد ليتحدَّث في "ترتيب صفات المجنون"، ثم يأتي إلى صفات الأحمق، فيقوده هذا إلى الاستطراد في الحديث عن معايب خلق الإنسان (في النِّكاح، واللُّؤم والخِسَّة وسوء الخُلُق...)، ويتحدث عن أحوال تتعلَّق بالإنسان كالبخل والكرم والدَّهاء وكثرة الأكل وكثرة الكلام... وقد جاء كلُّ ذلك تداعياً حُرَّاً غيرَ منظَّمٍ لأنَّ حقَّ مثل هذه الأمور أن تكون في بابٍ لاحقٍ سمَّاه الثَّعالبيُّ "**في ذِكر أحوال وأفعال الإنسان وغيره من الحيوان**"[45].

ثانياً: التَّداعي الأفقي والتَّداعي العمودي:

أ) التَّداعي العمودي: نعني بالتَّداعي العموديّ قدرة اللُّغة على استبدال كلمةٍ مكان أخرى ويظهر هذا في علاقتين من العلاقات داخل الحقل الدَّلاليّ؛ وهما علاقتا التَّرادف والتَّضاد.

يعدُّ التّرادف من أهمِّ علاقات إنشاء الحُقول الدَّلاليَّة، ومن أهمِّ ما حدا بالعلماء العرب إلى إنشاء رسائل المعاني ثمّ كتب المعاني ومعجماتها، لما في العربية من أسماء مختلفة لشيء واحد، وهي أولى سمات العربيَّة التي سجلها علماء العربيَّة القدماء، ويكفي أن نرجع إلى ابن فارس (ت: 395هـ) في كتاب الصَّاحبي في "باب القول في أن اللُّغة العربية من أفضل

[43] فقه اللُّغة وأسرار العربية، أبو منصور عبد الملك الثعالبي، ص116.

[44] المصدر السابق، ص 179وما بعدها.

[45] المصدر السابق، ص 205.

اللُّغات" لنعرف مدى اعتزازهم بهذه السَّمة ومدى عنايتهم بها؛ إذ يقول:" وإن أردت أنَّ سائر اللُّغات تبيّن إبانة العربية فهذا غَلط، لأنا لو احتجنا أن نعبّر عن السيف وأوصافه باللُّغة الفارسية لما أمكننا ذلك إلا باسم واحد، ونحن نذكر للسيف بالعربية صفاتٍ كثيرةً، وكذلك الأسد والفرس وغيرهما من الأشياء المسمّاة بالأسماء المترادفة. فأين هذا من ذاك، وأين لسائر اللغات من السَّعة ما للغة العرب؟ وهذا ما لا خفاء به على ذي نُهيّة[46]"[47]

فكان هذا الذي ذكره ابن فارس مبعثَ اهتمامهم بجمع الألفاظ التي تخصُّ شيئاً ما في رسالةٍ واحدةٍ، ومردَّ تأليفهم لعظيم الكتب والمؤلفات في ميدان المعاني، يُضاف إلى ذلك غايتهم الأدبيَّة المعروفة، وهي أن يجد كلُّ باحثٍ عن قافيةٍ أو سجعٍ أو معنىً دقيقٍ في مجالٍ ما ليوظِّفه في شعرٍ أو نثرٍ، ومعروف مبلغ عناية العرب في الإبانة شعراً أو خطابة.

والتَّرادف عند الثَّعالبي لم يكن سرداً للمترادفات فحسب بل كان تمييزاً بين المسميات في الاستعمال، تمييزاً لا يقبل الخلط بين المعاني المتقاربة، وتلك سمةٌ بارزةٌ في معجم الثَّعالبيّ، لا يكاد يوازيه فيها أحد، فلا نجد هذا الالتزام وهذه الدِّقة في كتاب آخر أو معجم آخر حتى في مخصَّص ابن سيده الذي يلي معجم الثَّعالبي زماناً والذي يعدُّه الدَّارسون قمَّة نضج هذا النَّوع من المؤلفات وأغزرها مادة وأحصاها للمترادفات أو قل الكلمات ذات المعاني المتقاربة، لكنه لم يلتزم دائماً ببيان الفروقات بين هذه الألفاظ، ولم يبزَّ الثعالبي بهذه السِّمة، والأمثلة كثيرة في فقه اللُّغة، ونكتفي بإيراد بعض الأمثلة للتَّدليل عليها، من ذلك "**فصل في تفصيل الخرق**": " القَماطُ والمِعْوَزُ: الخِرْقَةُ التي تُلَّفُ علة الصَّبيّ إذا قُمِّطَ* الضِّمادُ، الخِرقَةُ التي يُلَفُّ بها الرَّأْسُ عند الادِّهانِ والعِلاجِ ... * الشِّمالُ، الخِرْقَةُ التي يُجْعَل فيها ضَرْعُ الشَّاة* الرَّبْذَةُ، الخِرْقَةُ تُطْلَى بها الجَرْبَى ...* الجُعالَةُ، الخِرقَةُ تُنْزلُ بها القِدْر...* الوَقيعةُ، الخِرقَةُ يَمْسَحُ بها الكاتِبُ قَلَمَهُ...* الغِفارةُ، الخِرقَةُ تَجْعلها المرأَةُ دون الخِمار* الصِّقاعُ،

---

[46] النُهيَّة: العقل.

[47] الصاحبي في فقه اللُّغة العربية ومسائلها سنن العرب في كلامها، أبو الحسين أحمد بن فارس(ت: 395هـ)، أحمد حسن بسج، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ/1997م، ص19.

الخِرقَةُ تَقي بها المَرأَةُ خِمارَها من الدُّهْنِ* الغِمامَةُ، الخِرقَةُ يُشَدُّ بها أنْفُ النَّاقَةِ إذا ظُئِرَتْ[48] على غير ولَدِها...* المِعْبَأَةُ، الخِرقَةُ تتنَظَّفُ بها الحائِضُ* المِئْلاةُ، الخِرقَةُ التي تُسِكُها النَّائِحةُ في يَدِها عن النِّياحةِ* الرَّبابة: الخِرقَةُ التي تُشَدُّ بها القِداحُ* الهِرْشَفْةُ، الخِرقَةُ يُنَشَّفُ بها الماء من الحَوْضِ... "[49]

ومن حقول الترادف في معجم الثعالبي فصل في تفصيل الرياح: "إذا وَقَعَتِ الرِّيح بين الرِّيحَيْنِ فهي النَّكْباءُ* فإذا وَقَعتْ بين الجَنوبِ والصَّبا فهي الجِرْبِياءُ* فإذا هَبَّتْ من جِهاتٍ مُختلِفةٍ فهي المُتَناوِحَةُ* فإذا كانت ليِّنَةً فهي الرَّيْدانةُ* فإذا جاءَتْ بنَفسٍ ضعيفٍ ورَوْحٍ فهي النَّسيمُ* فإذا كان لها حَنينٌ كَحَنينِ الإبلِ فهي الحَنونُ... "[50]

لم يغب أبداً التَّضاد عن حقول الثَّعالبيّ، إذ اللفظة تستدعي نقيضها كما تستدعي مرادفها، لكنَّه لم يبنِ حقلاً على التَّضاد بل يأتي التَّضادُ في حقل بُني على علاقات أخرى مثالاً فريداً بين باقي عناصر الحقل؛ من ذلك مثلاً في باب الكليات "كُلُّ ما عَلاكَ فأَظَلَّكَ فهو سَماءٌ* كُلُّ أَرْضٍ مُستويةٍ فهي صَعيدٌ"[51]، فذِكْرُ السَّماء استدعى ذِكْرَ الأرض، وفي باب أوائل الأشياء وأواخرها فصل في سياقة الأوائل يبدأه بـ : "الصُّبْحُ أَوَّلُ النَّهارِ* الغَسَقُ أَوَّلُ اللَّيْلِ"[52]

ب) <u>التَّداعي الأفقي:</u> نعني بالتَّداعي الأفقي تلك العلاقة التي تربط بين المتلازمات، والتي مال كثير من العلماء والباحثين إلى تسميتها بالمصاحبة، وقد تحدَّث عنها منظرو الحُقول الدَّلاليَّة في سياق حديثهم عن الحقول السِّياقية أو السيجمانتية، ويُمَثَّلُ لها بالعلاقة بين (يمشي وقدم) و(يرى وعين)و(ينبح وكلب)و (أشقر وشعر)، و(زهر وتفتح)... وغيرها.

فالألفاظ أحياناً لا تستدعي تلك التي تصلح أن تكون بديلة لها كما في التَّرادف أو تلك التي تناظرها في التَّضاد بل تستدعي لفظةً اعتادت على الارتباط بها في سياق، فالألفاظ المتلازمة منظَّمةٌ في دماغ الإنسان في علاقاتٍ أفقيَّة تُضافُ إلى العلاقات العموديَّة لتشكِّلَ شبكةً معقدَّةً

---

[48] ظُئِرَتْ: أستُجِنَّت لإرضاع ولدها.

[49] فقه اللُّغة وأسرار العربية، أبو منصور عبد الملك الثعالبي، ص262.

[50] المصدر السابق، ص301.

[51] المصدر السابق، ص 43.

[52] المصدر السابق، ص 65.

من العلاقات يستدعيها الإنسان تداعياً مقيَّداً عندما يُطلَب منه ذلك أو عندما يُذكَر أمامه لفظٌ ما، وهذا التَّداعي مطلوبٌ في التَّأليف، ولا سيما في تأليف المعجمات، وقد كان التَّداعي عند الثعالبي في معجمه فقه اللُّغة منظَّماً في أغلب حقوله، وقد بنى طائفةً من فصوله على هذا النَّوع من العلاقات الأفقيَّة؛ فالمَعِدةُ للإنسان، والكَرِشُ لكلِّ ما يَجْتَرُّ، والرَّجْبُ لذوات الحافِر، والحَوْصَلةُ للطَّائِر[53]. والجَدْعُ للأَنْفِ، والصَّلْم للأُذُنِ، والشَّرْمُ للشَّفَة، والجَذْمُ لليَدِ، والجَبُّ للذَّكَرِ[54]. ولا يُقال بعج الرَّأس بل فَلع الرَّأس فالبَعْجُ للبطن والشَّقُّ للجَيْبِ والشَّكُّ للدِّرْعِ والهَتْكُ للسَّتْرِ ...[55] وإذا قلْتَ نَسَجَ تداعى إلى ذهنك الثَّوب، أما إذا قلْتَ ضَفَرَ فالشَّعر هو ما يأتي على الخاطر ومثل ذلك فَتَل الحَبْلَ وجَدَلَ السَّيْرَ ومَسَدَ الجِلْدَ...[56] وسَريرُ المَلِكِ عَرْشٌ، وسَرير المَيْتِ نَعْشٌ، و سَريرُ العَروسِ أريكة...[57]

خاتمة ونتائج:

ترتبط الألفاظ في ذهن الإنسان في علاقاتٍ على شكل جداول وحقول، يستدعيها المرء عندما يحتاج إليها، وقد أفاد من ذلك علماء النَّفس في المعالجة، ووظَّف اللُّغويون التَّداعي في التَّنظير للحُقول الدَّلاليَّة، التي أسهمت في بناء معجمات الموضوعات.

إنَّ العلاقةَ الوطيدةَ بين التَّداعي وبناء الحُقول الدَّلاليَّة جعلت من معجمات المعاني التُّراثيَّةِ التي لم تُسبق بتنظيرٍ أو تقترن بحديثٍ عن منهج الحُقول الدَّلاليَّة، ضرباً من تجلِّي التَّداعي الحرّ أو المقيَّد، وقد غلب التَّداعي الحرِّ على التَّأليف في معجمات المعاني.

ما يميز معجم فقه اللُّغة وأسرار العربية لأبي منصور الثَّعالبيّ غلبة التَّداعي المنظَّم أو المقيَّد على التَّداعي الحرّ الذي يأتي عرضاً، ويتجلَّى في الاستطراد والخروج على الحقل أو في العلاقات الضَّعيفة بين الحقول الفرعية والحقول الكليَّة.

---

[53] فقه اللُّغة وأسرار العربية، أبو منصور عبد الملك الثعالبي، ص154.

[54] المصدر السابق، ص257.

[55] المصدر السابق، ص264.

[56] المصدر السابق، ص269.

[57] المصدر السابق، ص276.

ظهر التَّداعي المنظَّم عند أبي منصور في علاقات التَّدرُّج والتَّرادف والتَّضاد والمصاحبة، ويعدُّ التَّدرج أبرز سمات التَّأليف في معجم الثَّعالبي، يليه التَّرادف، والتَّرادف عنده لم يكون سرداً للمترادفات بل كان تمييزاً دقيقاً بين المتقاربات في الاستعمال، ويمثل التَّرادف والتَّضاد التَّداعي العمودي، وقد بنى عدداً ليس قليلاً من حقوله على العلاقات النَّظمية السِّياقيّة، وإن كانت العلاقات العمودية هي الغالبة.

المصادر والمراجع:

* أصول تراثية في نظرية الحُقول الدَّلاليَّة، د. أحمد عزوز، دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 2002م.

* التحليل الدلالي: إجراءاته ومناهجه، د. كريم زكي حسام الدين، دار غريب، القاهرة، 2000م.

* دلالة الألفاظ، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1972م.

* الصاحبي في فقه اللُّغة العربية ومسائلها سنن العرب في كلامها، أبو الحسين أحمد بن فارس(ت: 495هـ)، أحمد حسن بسج، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ/1997م.

* علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، 1989م.

* فقه اللُّغة وأسرار العربية، أبو منصور عبد الملك الثعالبي(429هـ)، د. ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الثانية، 1420هـ/2000م.

* قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية(عربي_ إنكليزي_ فرنسي)، د. إميل يعقوب، د. بسام بركة، مي شيخاني، بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، 1987م.

* محاضرات في الألسنية العامة، ، فردينان ده سوسور، ترجمة يوسف غازي ومجيد النصير، دار نعمان للثقافة، بيروت، 1984م.

* مدخل إلى اللسانيات، د. رضوان القضماني، جامعة البعث، حمص، 1988م.

* المصاحبة في التعبير اللغوي، د. محمد حسن عبد العزيز، دار الفكر العربي، القاهرة.

* معجم علم النفس والتحليل النفسي، د. فرج عبد القادر طه وآخرون، دار النهضة العربية بيروت، الطبعة الأولى.

* معجم علم النفس والتربية، مجمع اللُّغة العربية بالقاهرة (لجنة علم النفس والتربية)، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1984م.

* المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، د. عبد المنعم الحفني، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 2000م.

* المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا، مكتبة المدرسة، دار الكتاب اللبناني ، بيروت، 1982م.
* الموضوعية البنيوية: دراسة في شعر السياب، عبد الكريم حسن، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1403هـ/1983م.

Semantics, Palmer, Cambridge University Press, 1976.